جـامعة عبد الرحمـان ميـرة- بجاية
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة :

شعرية القصيدة الخمرية في العصر العباسي خمريات أبي نواس أنموذجا

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي قديم

إعـداد الطّالبين:

سمير سعدي
زين الدين بن جدي

إشراف الأستاذ:

فريدة مولى

السنة الجامعية: 2019/2018

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلمة شكر

قال الله تعالى: «لئن شكرتم لأزيدنكم»

أولا وقبل كل شيء نتقدم بالشكر لله عزّ وجلّ الذي كان سببا في وصولنا إلى هذا اليوم؛ فالحمد لله الذي أعاننا في مشوارنا الدراسي ويسّر لنا إتمام هذا العمل المتواضع.

والحمد لله الذي يسر لنا أمورنا

إلى أستاذتنا الفاضلة فريدة مولى جزيل الشكر والامتنان

على حسن التوجيه والنصح والثقة التي منحتها إيّانا

وإلى كل من مدّ لنا يد العون من أساتذة قسم اللغة

العربية وآدابها

والشكر موصول لكل من أعاننا ولو بكلمة طيبة من قريب أو بعيد.

مقدمة

اعتبر القرن الثاني للهجري منعرجا حاسما شهد ظهور وتطور عدة أغراض ومواضيع شعرية منها الجديدة ومنها القديمة التي عرفت تطورا وتحولا وبروزا في الساحة الأدبية خاصة في العصر العباسي، ومن أهم هذه المواضيع الشعرية التي عرفت نفسا جديدا في هذا العهد الشعر الخمري ، وهو ذلك الشعر الذي يقال و يتداول في مجالس الشراب بين الشاربين والمجان حيث يتغنون به و يصفون أجواء هذه المجالس وما يدور حولها من خمر وغناء ولهو وتهافت على الملذات والحانات ، فرواد هذه الدور يصورون كل هذه اللحظات ويتغنون بها بأشعار تعبر عن نشوتهم وشدة تعلقهم بهذا التيار الذي ما فتئ أن أصبح مصدر إلهام وإبداع لشعراء كتبوا أسماءهم من ذهب و كانوا سببا في نمو وتجديد وبعث روح جديدة في الشعر العربي، كما أسهم الشعر الخمري في تأريخ وتخليد نمط عيش وحياة لاهية عاشها المجتمع العربي في القرن الثاني الهجري في ظل الخلافة العباسية، حيث تميز العصر العباسي عن بقية العصور بنقلة حضارية كبيرة مست مختلف جوانب ومجالات الحياة عموما، وقد ظهر تأثير هذه الموجة الحضارية أو تطورها بشكل واضح على الجانب الأدبي.

ونخص بالذكر الشعر الذي شهد تطورا وازدهارا ملحوظا حيث وجد جوا ملائما وأرضا خصبة جادة بالنعم والرفاهية، فارتقى إلى أن يكون أكثر الأنواع تصويرا للعصر وجرأة واستجابة لما حصل ويحصل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، حيث كان العصر العباسي شاهدا على تلك البحبوحة التي كانت إحدى ركائز الاقتصاد آنذاك والتي مهدت لنمط حياة لم يتصور أحد الوصول إليها، والملفت للانتباه أنّ هذا العصر أربى فيه الغرباء والوافدون،

أو ما يعرف بتسمية المولدين الذين أثروا في حياة هذا العصر وأبوْ إلا أن يضعوا لمسات خاصة على أشعارهم، فأبدعوا بذلك قصائد جديدة ذات بناء جديد مخالف لتلك التقاليد المعتمد عليها في بناء وشكل ومضمون القصيدة العربية القديمة، فقد وجد الشعراء أنفسهم أمام واقع معيشي مخالف وطبيعة الحياة فرضت عليهم وعلى أدبهم الابتعاد عن القالب والقول الشعري الذي بقي متمسكا بالبداوة والحياة البسيطة، كما دفعتهم تلك الحياة إلى تصوير مظاهرها وأشكالها ورفاهيتها، فأطلق الشعراء المولدين العنان لأذهانهم وقريحتهم وشحنوا أفكارهم فجعلوا من الشعر وسيلة لنقل وتصوير الحياة الاجتماعية والاقتصادية العباسية.

لقد سلط الشعراء العباسيون الضوء على كل صغيرة وكبيرة في مجتمعهم واستطاعوا أن ينقلوا أحوال العباسيين وحياتهم اللاهية بكل حذافيرها، وكان للمولدين دور كبير في مسايرة الشعر لهذه الحياة ومظاهرها واستطاعوا من خلال خمرياتهم أن يعكسوا حياة المجالس الخمرية وأجوائها، ويعد أبو نواس من أبرز الشعراء المولدين الذين نقلوا لنا تفاصيلها، وهو المعروف بخمرياته وعشقه للخمرة وأجواء مجالسها، وقد برزت دراسات عدة تناولت الشعر الخمري بالدراسة والتحليل وسلطت الضوء على بعض النقاط المهمة فيه مثل ما نجد في دراسة "الدكتورة أحلام الزعيم "، التي عالجت موضوع الشعر الخمري عند أبي نواس بين العبث والاغتراب والتمرد ،ونظرا لقيمة هذه الدراسة حضيت بعدة دراسات لاحقة

لها تكملها في موضوعها، كما نجد الدراسة القيمة للدكتور أيمن محمد زكي العشماوي" في كتابه "خمريات ابي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل" .

شهد الشعر الخمري إذن شيوعا كبيرا أوساط العامة باعتباره شعرا قريبا للذوق العام، كما أنه يعتبر عنوانا عريضا في الأدب العباسي هو ورائده أبو نواس الذي استحق لقب أب الخمريات العربية ، وقد ولد حبنا للشاعر وحياته الصاخبة شغفا كبيرا و فضولا للإبحار في عوالمه الشعرية وخاصة خمرياته التي جعلت منه فارسا من الفرسان في الساحة الأدبية في العصر العباسي، هاته الشخصية التي طالما وصفوها بالشخصية المعقدة بغموضها ونفسيتها المتذبذبة والتي ذاع صيتها في أرجاء البلاد العربية و خلدتها كتب التاريخ، كما كان لها حض وافر من اهتمامات النقاد و الدارسين الذين استهوبتهم أعماله الأدبية مثلنا.

ومن هذا المنطلق عزمنا دراسة خمريات أبي نواس للإجابة عن بعض التساؤلات التي دفعتنا للبحث في هذا المجال ومن بين هذه الأسئلة :

– إلى أي حد يمكن أن تعدّ القصيدة الخمرية النواسية شعرية في ذاتها وفيما تجلت هذه الشعرية ؟

–ما هي الدوافع التي جعلت من أبي نواس ينظم شعره على هذه الشاكلة والتي أعطته الريادة بين شعراء عصره؟

-كيف ساهمت القصيدة الخمرية في إبراز صورة المجتمع العباسي و أحواله من خلال الشعر باعتباره وسيلة إعلامية صادقة ؟

وقد ارتأينا أن نتبع بعض خطوات التحليل الأسلوبي للكشف عن مواطن الشعرية في خمريات أبي نواس لأن المقاربة الأسلوبية هي الأنسب في هذا المجال.

وللإحاطة بجوانب الموضوع قسمنا البحث إلى مدخل وفصلين وخاتمة، تناولنا في المدخل أهم العناصر التي تمهد للدخول في موضوع الشعر الخمري وهي: الخمرة في الجاهلية وأهم الشعراء الذين حملوا لواء هذا الاتجاه الشعري،وبعدها موضوع الخمرة في صدر الإسلام و العصر الأموي ،أما الفصل الأول فقد تطرقنا فيه إلى الشعر الخمري في العصر العباسي والذي قسم إلى ثلاثة مباحث ، خصصنا المبحث الأول لعوامل انتشار الشعر الخمري في العصر العباسي، في حين تعرضنا في المبحث الثاني إلى مضامين القصيدة الخمرية والتي لخصناها في سبعة مضامين مستشهدين بمجموعة من الشعراء الذين أحسنوا التصوير والوصف في هذا الموضوع ، وعالجنا في المبحث الثالث بنية القصيدة الخمرية العباسية .

أما الفصل الثاني المعنون "شعرية القصيدة خمرية النواسية" فقد قسمناه إلى ثلاثة مباحث، تحدثنا في المبحث الأول عن شعرية اللغة في القصيدة الخمرية النواسية في حين تناول المبحث الثاني شعرية الصورة في قصائده، وعرجنا في المبحث الثالث لدراسة شعرية

الموسيقى في القصيدة الخمرية عند أبي نواس.وختمنا البحث بحوصلة ذكرنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال الدراسة.

وقد اعتمدنا في هذا البحث عدة مصادر ومراجع تعد الأهم في مجال القصيدة الخمرية ومنها " كتاب أدباء العرب في الأعصر العباسية "لبطرس البستاني بالإضافة إلى "كتاب اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري لمحمد مصطفى هدارة " وكذلك سلسلة كتب "شوقي ضيف" وهي "تاريخ الأدب العربي في كل من العصر الجاهلي والعصر الإسلامي والعصرين العباسيين. إلى جانب دراسة الدكتور "أيمن محمد زكي العشماوي" في كتابه "خمريات ابي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل".

ولأنه لا يوجد بحث بدون عراقيل وصعوبات، فقد واجهتنا العديد منها يمكن أن نذكر قلة المراجع والمصادر في المكتبة المركزية للجامعة، إضافة للمشاكل التقنية التي تواجهها المكتبة في حد ذاتها، كما أن الظروف السياسية غير عادية التي يمر بها الوطن هي التي أثرت بشكل كبير على سوء سير الأشغال البيداغوجية في الجامعة، مما ولّد أزمة خاصة بعد تذبذب الخدمات فيها على الصعيد الإداري و البيداغوجي والذي بدوره أثر في مسار مذكرتنا، دون نسيان الصعوبات التي تلقيناها في مهمة تحرير بعض أجزاء المذكرة، والجدير بالذكر أن الذي كلفناه بتحريرها لم يتقن عمله فأفسد علينا عملنا وسبب تأخرا في انجاز المذكرة.

ختامًا نرجو أن نكون قد وُفقنا في بحثنا وإن كان كذلك فبفضل الله أولا وبفضل الأستاذة المشرفة "مولى فريدة" ثانيا، حيث شجعتنا وحفزتنا على البحث والمواصلة في كل خطوة من خطواته، وسهلت علينا بعض الصعوبات لمواصلة البحث حتى النهاية، ونتمنى أن يكون هذا الموضوع في المستوى المطلوب وأن نبلغ به ولو قسطا من المعرفة والثقافة في هذا المجال، ويضاف إلى رفوف المكتبات؛ والله المستعان.

مدخل

الخمرة في الشعر العربي القديم

1- الخمرة في الجاهلية:

عرف العرب الخمرة منذ القديم، فقد كانت حاضرة عندهم حضورًا لافتًا سواء في حياتهم أو في أشعارهم التي لا تخلوا من ذكرها ووصفها والتغني بها في مختلف العصور، إذ كان لكل عصر شعراؤه وأعلامه وخصائص تميزه عن غيره ، كما لم تكن مجالس الشعر تقام من دونِها إلا نادرًا، فشربوها وأحبوها ووصفوها منذ الجاهلية، وقد كانت «ظاهرة شرب الخمر والحديث عنها في الشعر، ظاهرة قديمة، عرفها العرب كما عرفتها الأقوام الأخرى، وبدت هذه الظاهرة في الشعر الجاهلي بسيطة فلم تخرج عن كونها أبيات قليلة في بنية القصائد المركبة ولكنها تحمل دلالات فنية وجمالية تحددها طبيعة السياق العام للقصيدة».[1]

تناول الشعراء الجاهليون الخمرة في أشعارهم وقليل منهم من لم يتطرق إليها في شعره، قد أحسنوا التعبير عنها وأبدعوا في وصفها، وراحوا يرسمون لها أحسن الصور ويطلقون عليها مسميات مختلفة ومتعددة ما يؤكد ان البيئة الجاهلية كانت بيئة خمر بامتياز «فهذه ست وثلاثون اسمًا أرق أسمائها وأعذبها وأكثرها دورانا في كلام الشعراء والأدباء وأرقها

[1]–نور الدين السد، الشعرية العربية، دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية في العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص499.

الصهباء أعذبها الحمياء وألطفها السلاف وأخفها المدام وأظرفها القهوة وأقبحها القرقف وأفضلها الراح لاشتقاقه من الروح ولملائمته لها وامتزاجه بها».[1]

وكان وصف الجاهليين للخمرة يحمل دلالات مختلفة أهمها «أن شربها والإعلان عنه يدّل على قيم الفروسية والفتوة وسخاء اليد وسماحة النفس والافتخار بشرب الخمر هو افتخار بهذه القيم بطريقة غير مباشرة أو مباشرة أحيانا»[2]، فهذا "عنترة بن شداد" يصف الخمرة ويقدم صورة جميلة وإبداعية لها وأباريقها حيث جعل الزجاجة صفراء لصفرة الخمر بقوله:[3]

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ المَدَامَةِ بَعْدَمَا رَكَدَ الهَوَاجِرُ بالمشُوفِ المُعْلَمِ

بِزُجَاجَةٍ صَفْـرَاءَ ذاتِ أسِــرَّةٍ قُرِنَتْ بأزهَرَ في الشَّمَالِ مُقَدَّمِ

أما امرئ القيس فقد أسهب في وصفها والتلذّذ بشربها والسَّهَر مع أصحابه حتى بدت خيوط الفجر يقول:[4]

لقد أصْبَحَ الفتيان صَهْبَــاءَ صِفْوَةً مُعَتَّقَةً صِرْفًا إذا الدّيـك أسحَــرا

إذا قال منهُوْ لي الذي ليس شاربًا أرى المليكَ الِكنْدِيَّ لَذّوَ أسْهَــرَا

---

[1]–شمس الدين محمد بن الحسن النواجي، حلبة الكميت في الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات، الطبعة الثالثة، إدارة الوطن ص6.

[2]-نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ص499.

[3]-عنترة بن شداد، الديوان، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، كلية الأدب في جامعة القاهرة،1964 ص205،206.

[4]- امرؤ القيس، الديوان، برواية الأصمعي، دار المعارف (ج،م،ع)، دت، ص265.

كما استهل بها "عمر بن كلثوم" معلقته الشهيرة وجعلها مقدمة خمرية على خلاف ما كان متعارفا في الشعر الجاهلي الذي يفتتح بالمقدمات الطللية أو الغزلية، حيث طلب من الساقية الاستيقاظ من النوم لكي تسقيه شراب الصّباح بالقدح الكبير واصفا الخمرة ومفعولها بعد مزجها بالماء الساخن، يقول: (4)

ألا هُبّي بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينَا ولا تُبْقِي خُمُــورَ الأنْدَرِينَـــا

مُشَعْشِعَةٍ كَأَنَّ الحُصَّ فِيهَــا إذا مَا المَــاءُ خالطهـا سَخِينَـا

وقد كان "الأعشى" من الشعراء المكثرين «في وصف الخمر ومجالسها، وحديثه عنها يتمّ على أنها تمثّل في حياته دورا هامًا، ومن خلالها يعبّر عن رؤيته للوجود، وقد ورد ذكرها في ديوانه سبع عشر مرة بينما تراوحت نسبة الحديث عن الخمرة في دواوين الشعراء الجاهليين بين الطول وبين القصر، والكثرة والقلة، وهي تبلغ في نسبتها ما بلغته في ديوان الأعشى».[1]

ومن صور الخمر في شعره قوله:

لنا في ضحاها خبث نفس وكأية وذكرى هموم ما تعب أذاتهـــا

وعند العشــي طيـب نفس ولـذّة ومــال كثيـــر غـدوة نشواتهـا

على كلّ أحوال الفتى قد شربتهـا عنيّا أو صعلوكًا وما إن أقاتها

[1]–نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ص499.

فهو يشير إلى أثر الخمر في نفسه، حيث يشربها في الضحى حيث تشيع في نفسه الكآبة والحزن، وتبعث ذكرياته الدفينة، فتفتح جراحات جديدة تطفح بالهموم والأسى على ما مضى من الأيام.[1]

كما يبدو في خمرياته ـ متلاف لا يبخل على الخمر بشيء، وإليه تنسب هذه الأبيات التي يقول فيها إن الخمر والنساء والإسراف في فاخر الطعام قد ذهبت بماله:[2]

إنّ الأجاهزة الثلاثـــة أهْلَكـــتْ مالي وكُنْتُ بِهِنَ قِدَمًا مُولَعًا

الخَمْرُ واللَحم السَّمِينَ مع الطّلَى بالزّعْفَـرَانِ وَلَا أزالُ مُرَدَّعـا

وقد وصل به الأمر إلى اصطناع بحور شعرية خصيصا ليصور فيها المجون والخلاعة، وينظم قصائد في الخمر، حيث «اصطنع في خمرياته البحور القصار التي تلائم ما يصور من ألوان المجون والخلاعة ففي ديوان الأعشى عشر قصائد من بحر المتقارب، ست منها في الخمر وله قصيدتان من بحر الرّمل، كلتاهما في الخمر وليست هذه القصائد خمرا من أولها إلى آخرها».[3]

---

[1]–ينظر، نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي ، ص499.

[2]–الأعشى الكبير، الديوان، شرح وتعليق محمد حسين، مكتبة الأدب بالجماميزت، المطبعة النموذجية، د.ت، ص(ص) من المقدمة.

[3]-محمد محمد حسين، أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار بين الأعشى والجاهليين، دار النهضة العربية، بيروت، 1972، ص10.

ويظهر حديثه عن اللهو وشرب الخمر واضحا من خلال معلقته:[1]

فقد أرب الرّاح قد تعْلَــمِ بين يوم المقــام ويَوْمَ الطّعَــنْ

وأشْرَبُ بالرّيف حتى يُقا لَ قَدْ طَالَ بالرِّيفِ مَا قَدْ دَجتْ

احتلت الخمرة عند "الأعشى" منزلة كبيرة إذ أطال في وصفها وذكر مجالسها، ويعتبر بالنسبة للشعر الجاهلي «قمَّة الشعر الخمري، ولم يكن عبثا ما وصفه به القدماء من أنه أشعر الناس إذا طرب».[2]

إن القليل من شعراء الجاهلية من لم يعرض للخمرة في قصائدهم «فأكثر هؤلاء الشعراء كانوا يشربون الخمر، ومنهم من كان شربه لها متصلا، ومنهم من كان يلم بها إلماما وكانوا يصفون الخمر وأقداحها وآنيتها المختلفة ولهم في ذلك الكلام الجيد الكثير لا سيما الاعشى الذي أكثر في وصف الخمر وأطال واشتهر بأنه من وصافها المجدين».[3]

وقد وصفت الخمرة في أشعار العرب في الجاهلية وصفا فنيا خالصا في هذه النماذج التي وصلتنا من أشعارهم نلاحظ أنهم عنوا بوصف الخمر عناية الفنان الذي لا يقصد منه غير اللذة يجدها في التعبير عما في نفسه، فهم لم يمروا عليها مرورا، ولم يذكروها مفتخرين

[1]-الأعشى الكبير، الديوان، ص(ص) من المقدمة.

[2]-نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ص500.

[3]-طه حسين، حديث الأربعاء، الجزء الثاني، الطبعة14، دار المعارف، منتدى الإسكندرية، د.ت، ص72.

متمدحين بفتوتهم، ولم يذكروها لأنهم أرادوا أن يشبهوا رضاب صواحبهم بها، ولكنهم ذكروها لأن لهم في وصفها لذة فنية خالصة. وها هو علقمة يشير متلذذا إلى تأثيرها في قصيدته:[1]

قد أشهد الشَّربَ فيهم مِزْهر رغم والقوم تصرعهم صهباء خُرْطوم

كأسَ عزيز من الأعْناب عتقها لبعض أربابها حانيّةٌ حُومُ

كانت المفاخرة في الجاهلية بشرب الخمر من مظاهر الكرم، و"طرفة بن العبد "يذكر الخمرة في مطولته حين يصور لنا فتوته وكرمه، وهو رجل لا يؤمن ببعث أو نشور لكنه يروى نفسه في حياته قبل أن يدركه الموت، ويقول للائمه؟ (ستعلم إن مِتْنا غدًا أيّنا الصّدى) أما زهير فليس له غير أبيات في قصيدته "عفا من أل فاطمة الجواء". وهو كطرفة، يذكر الخمر حين يفتخر بفتوته وكرمه، فيقول:[2]

وقد أغدو على شربٍ كرام نشاوَى واجدين لما نشاءُ

لهم راحٌ وزوارقٌ ومِسْك تُعَلَ به جلودٌ هُمُ وماءُ

يجرّون البُرود وقد تمشت حُمَيَّا الكأس فيهم والغِناءُ

وكان الجاهليون يبذلون الأموال الكبيرة للحصول عليها من أجل إكرام الضيف فكانت نعمة الفخر تشمل على سائر الشعر الجاهلي وتطغى على أغراضه المختلفة، فتطبعها بطابع

[1]-محمد محمد حسين، أساليب الصناعة في شعر الخمر والأسفار بين الأعشى والجاهليين، ص10.

[2]-ينظر، نفسه، ص5-6.

حماسي لذلك كانوا يذكرون الخمر أكثر ما يذكرونها حين يتمدحون بفتوتهم وبإنفاقهم للمال في اللذات وبمبالغتهم في إكرام الضيف وخير من يصور هذا اللون من شعر الخمر الحماسي أبيات "طرفة "في مطولته[1]

وَلَسْتُ بحَـلاّل التلاع مخافــةً ولَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِــدْ القَوْمُ أَرْفضــــدْ

فإن تبغي في حَلْقَةِ القَوْمِ تَلْقَنِي وَإِنْ تَقْتَنِصْنِي في الحَوانيتِ تَصْطَد

ومازال تَشْرَبِي الخُمور ولَذَّتــي وَبيْعى انْفَاقــي طريفــي وَمُتْلــدِي

وقد كانت الخمرة وما يتبعها من استباحة النساء شائعة في هذا العصر، كما شاع معها القمار أو الميسر، وكانت عادتهم فيه أن يذبحوا ناقة أو بعيرا ويقسموا ما يذبحونه عشرة أجزاء، ثم يأتوا بأحد عشر قدحًا، يجرون عليها قمارهم، وكانوا يجعلون لسبعة منها نصيبا إن فازت وعلى أصحابها غُرْمٌ إن خابت وأكبرها نصيبا يسمى المُعَلَّى، أما الأربعة الباقية فلا حظ لها حتى إن فازت[2]، وكان الذين يبيعون الخمر في الجاهلية «ينصبون رايات ليعرف مكانهم ويسمونها الغاية، وكانت العرب تفتخر بشربها وبلعب القمار لأنهما من دلائل الجود عندهم، وقد بلغ تولّعهم في شرب الخمر ما فعله أبو غَبْشَبانْ إذ باع مفاتيح الكعبة بزقّ خمر».[3]

[1]- الأعشى الكبير، الديوان، ص(س) من المقدمة.

[2]-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، الجزء الأول، الطبعة 11، دار المعارف القاهرة، د ت، ص71.

[3]-حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت لبنان، 1986، ص147.

على الرغم من هذا الإقبال على الخمرة فقد اعتبر الإدمان عليها في الجاهلية أمرا مشينا تستقبحه العرب وقد تطرد القبيلة من يدمن على شرب الخمر وتنفر منه وقد تخلعه لما يتدنّى فيه من رذائل على نحو ما يروى عن البَرّاص ابن قيس الكناني أحد أدلاء القوافل في الجاهلية، إذ كان سكيراً فاسقا، فَخَلَعَهُ قومه وتبرأوا منه.

ويقول طرفة في معلقته مشيرا إلى ذلك:[1]

ومازال تشرابي الخمـورَ ولذتـــي وَبَيْعِي وانفاقي طريقي ومُتْلَدِي

إلى أن تحامَتْني العشيرة كلهـــا وأفْرِدْت أفراد البعيـــر المعبَّــد

ولولا ثلاثٌ هن من عيشة الفتى وجَدّك لم أحفل متى قام عُوَّدى

ولكن الميزة الأساسية في الشعر الخمري عند الشعراء الجاهليين هي أنهم لم يتخذوا شعر الخمر فنًا مستقلا من فنون الشعر كما اتخذوا المدح والهجاء والفخر والحماسة «فالجاهليون كانوا يصفون الخمر ولكنهم لم يكونوا يمعنون في هذا الوصف إمعانهم في وصف الخيل والإبل، لأنهم لم يكونوا من النعمة ولين العيش بحيث يستطيعون أن يعكفوا عليها، ويعاشروها معاشرة متصلة كما كانوا يعاشرون الإبل والشاة، وإنما كانت تسمح للكثير منهم فرصة اليوم أو الساعة، يشرب فيها ويلهم، فإذا فرغ من شربه ولهوه تحدث بذلك

[1]-ينظر، طه حسين، حديث الأربعاء، ص75

مفاخرًا، وربما وصف الخمر وذكر اللهو وهو لم يشرب ولم يأخذ من اللهو بحظ، وإنما دعاه إلى ذلك الفخر والفن».[1]

2- الخمرة في صدر الإسلام:

في العصر الإسلامي تقلص ظل الخمرة، فلما جاء الإسلام انشغل الشعراء بغير الخمرة حين صرفهم عنها الدين، وصرفهم عنها جدّ الخلفاء، وصرفهم عنها الفتح ونشر قيم الدين الجديد، ومع ذلك «يظهر أن الشعر وحده هو الذي سكت عن الخمر خوفا واشفاقًا، وأن كثيرًا من العرب البادين والمتحضرين كانوا لا يضنون على أنفسهم باللهو، يختلسونه اختلاسًا ويسرقونه اسرقا.[2] مع أن الإسلام قد نهى عن شربها وجاء ذلك في قوله عز وجل﴿ يا أيها الّذين آمنوا إنما الخمر والمَيْسَرُ والأنصابُ والأزلام رِجسٌ من عَمَلِ الشيطان فاجتنبوهُ لَعَلَكُمْ تفلحون ﴾(آ 90 /س المائدة).فنجد أن العقيدة و الدين «ينهى عن التعظم بالآباء ويحرّم الخمر، وينفر من التعرض لأحساب الناس بالهجاء، وأغراضهم بالتشبيب لعل كل ذلك كان سببًا في ضعف الشعر العربي بضعف الدوافع إليه وقد حرمت أهم الموضوعات التي تثير الشعور وتعين عليه، من شرب وغزل وهجاء ونحوه وإذا كان الحطيئة قد زار السجن بسبب الهجاء، فإن أبا محجن الثقفي قد زاره أيضًا في سبيل الخمر».[3]

---

[1]–شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص70.

[2]-المرجع نفسه، ص72.

[3]-محمد عبد العزيز الكفراوي، الشعر العربي بين الجمود والتطور، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،د ت، ص48.

هجر معظم الشعراء الأغراض الشعرية التي تتنافر مع تعاليم الدين الإسلامي من وصف المجالس الخمر واللهو، ومع هذا فقد «كان المسلمون يشربون ويلهون ولكنهم كانوا يحتشمون فلا يكادون يذكرون ذلك في الشعر إلا إلمامًا وكانوا يحتشمون إشفاقا ووقارًا».[1]وقد كان العقاب شديدًا لمن يقبل عليها «ومعروف أن الإسلام حرّم الخمر، أن عمر شدَّد في عقابها حين وجد بعض المسلمين يقترفونها مثل أبي محجن النفعي، وقصته صلاة الوليد بن عقبة إلى الكوفة لعثمان بالناس وهو سكران مشهورة غير أن أمثاله وأمثال أبي محجن في عصر الحلفاء الراشدين كانوا قليلين».[2]

كما نجد ترهيبا من شرب الخمر وتحذيرا للناس من لدن الصحابة رضوان الله عليهم ومن بينهم عثمان بين عفان رضي الله عنه حيث «يُروَى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه خطب الناس يومًا فقال: أيها الناس اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث ومفتاح كل شر».[3]وكذلك فعل الرسول (ص) قبله إذ قال «من شرب الخمر في الدنيا حرَّمها الله عليه في الآخرة أيها الناس اتقوا الخمر فإنها من أجل الذنوب وأكبر الكبائر ومن يشرب الخمر وقع على أمه وأخته وهو لا يعلم، فمن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ولا يقعد على مائدة يشرب عليها الخمر فإن اللعنة تنزل عليهم ما داموا في مجلسهم ذلك».[4]

---

[1]-ينظر، طه حسين، حديث الأربعاء، ص75.

[2]-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر في الإسلامي، الجزء الثاني، الطبعة السابعة، دار المعارف، ، القاهرة، د.ت، ص377.

[3]-الرقيق القيرواني، قطب السرور في أوصاف الخمور، د ت، ص195.

[4]- المرجع نفسه، ص195.

حين حرّم الإسلام الخمرة، تقلّص ظلها في الشعر الإسلامي، وقد «دار جدل طويل بين الفرق الإسلامية في قضية تحليل الخمر وتحريمها».[1] ولكننا نجد شاعرا إسلاميا بارزا في هاته الفترة ينهض بها ويذكرها في شعره، إنه المخضرم «حسان بن ثابت الأنصاري فهو يصفها في عدة قصائد وصف من أحب الخمرة وعرف نشوتها وهو وصف فخري في عادة الجاهليين أكثر مما هو وصف تفصيلي وتحليلي»[2]

يقول في وصفه للخمرة:

لقد شربت الخمر في حانوتها صَهْبَاءَ صافية كَطعْم الفلفلِ

يسعى علَيَّ بكأسها مُتَنطّقِ فيَعلنّي منها وَلَوْ لَمْ أنْهَلِ

إنَّ التي تاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا قُتِلْتَ قُتِلْتَ فَهَاتِهَا لَمْ تُقْتلِ[3]

ويضيف ذِاكْرِها ونشوتها ومكانتها في نفوسهم واشتهارها عندهم:[4]

إذا ما الأشربات ذُكِرنَ يَوْمًا فَهُنَ لِطيْبِ المراح الفِداءُ

نوليها الملامّة إنْ ألمْنَا إذا ما كان مَعَثٌ أو لحاءُ

---

[1]-نور الدين السد، التطور الفني للقصيدة العربية من العصر العباسي، ص500.

[2]- خالدي سليمان، شعر الخمرة بين أبي نواس وابن الفارض، دراسة مقارنة، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، جامعة تلمسان، 2012/2011م، ص10.

[3]-حسان بن ثابت، الديوان، ضابط بالعربية، مطبعة السعادة، مصر، د.ت، ص249.

[4]-المرجع نفسه، ص11.

وَنَشْرَبُهَـا فتتركُنَـا مُلُوكًـــا وأسْدًا ما يُنَهْنِهُنَـا اللِّقَـاءُ

أما الشاعر المخضرم "كعب بن زهير" فنجده يتحدث عن حالة شوقه للديار وتعلقه بها كتعلق المخمور بالخمرة وهو من تولّع بالخمر وما قوي على هجرها يقول:[1]

ما يجمع الشوق إنْ دارٌ بنا شحطت وَمِثْلُهَا في تدانـــي الدار مهجـور

نشفى بِهَا وَهِـي دَاءٌ لـــو تُصَقِبُنَـا كما اشتقى بِصَيَادِ الخمرِ مخمورُ

3- الخمرة في العصر الأموي:

عرف العصر الأموي انتشار وشيوع موجة الغناء والترف «فتهافت الناس على مُتع الحياة، وكان للخمرة في مجالس الحجاز والشام والعراق مكان مرموق ولا عجب، والحالة هذه، في أن يزدهر الشعر الخمري، في عهد بني أمية وفي أن يكون للخمرة أنصارٌ وأعوان».[2] فقد أقبل الأمويون على اللّذة وشرب الخمرة، وأسرفوا فيها «فكثرت مجالس الخمر وبعض الخلفاء من بني أمية المتأخرين جعلوا يقبلون على اللهو، ويتقدمهم في ذلك يزيد بن عبد المالك وابنه الوليد الذي أكب على الخمر والمجون إكبَابًا كما أكبت على نظم الخمريات».[3]

[1]-كعب بن زهير، الديوان، حققه وشرحه وقدم له الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، س1417هـ/1997م، ص39.

[2]-حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص697.

[3]-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، الجزء الثاني، الطبعة السابعة، دار المعارف مصر، ص380.

ومن دواعي ظهور مجالس الخمر الانفتاح الواسع الذي شهده العصر الأموي الذي كان أثره واضحا في هذه الفترة خاصة الانفتاح واختلاط العرب بالفرس «ولكن القرن الأول للهجرة لم يكن ينتهي حتى كان الجيل قد تغير والعهد قد تبدل، وحتى كان الاختلاط بين العرب والفرس وهذه الأمم الكثيرة المتباينة في الشام، قد عمل عمله، وأخذ يظهر أثاره الكثيرة المختلفة ومن أعظمها وأشد خطرا المجون وحب اللهو وحرية الفكر والسيرة».[1]

وقد ساعد تحول عاصمة الخلافة من المدينة إلى دمشق «على إفساح المجال لتشجيع الحضارة الأجنبية التي حملها معهم أسرى الفرس، والروم وغيرهم، ولا سيما الحضارة المترفة منها، كالغناء والموسيقى واللهو والصيد والسباق، والشطرنج والتفنن في الملبس والمأكل والشراب فسكنوا القصور وأقاموا الدور والحدائق الغناء».[2]

كان للخمرة في هذا العصر «سهمٌ وافر في هذه الحياة الأثيمة وهي آلة الإثم، فتذيع بين الناس ويذيع معها الشعر الخمري بعد أن كان يتلاشى في صدر الإسلام، ولولا الأخطل والوليد بن يزيد وبعض الشعراء المغمورين لما كان له شأن، وازداد الناس إقبالا عليها وأقدم

[1]-طه حسين، حديث الأربعاء، ص78.

[2]-ثريّا عبد الفتاح ملحس، مدخل إلى أدب العصر الأموي، الطبعة الأولى، مكتبة المدرسة دار الكتاب العالي، بيروت، لبنان، س1989، ص67.

بعض الخلفاء على شربها، فقد كانوا يقيمون مجالس اللهو في قصورهم فتغنى القيان لهم، ويدور الغلمان عليهم بالكؤوس فيشربون ويلهون ويعبثون».[1]

أما عن أشهر شعراء بني أمية في الخمريات نجد «الوليد بن يزيد الذي نشأ مستهترًا يميل إلى اللهو والخمر والصيد ويحب معاشرة الظرفاء ومنادمة الأدباء والخلفاء والمجان وسماع الغناء ومجاراة أهواء النفس ومعاني شعره تعبير عن تجربة نفسه في رقة عذبة وصدق مؤثر وسهولة شفّافة».[2]

يقول في وصفه للخمرة:

وصفراء في الكأس كالزعفران سباها التحيي من عسقلان

تريك العداة وعرض الأنـــا ستر لها دون لمس البنان[3]

وقد أخذ الوليد بن يزيد يسرف في المجون واللهو إسرافا شديدًا «حتى استولى على عرش الخلافة فإذا يحول قصره ببادية شرقي الأردن مقصفًا كبيرًا للخمرة والعزف والغناء، إذ لم يترك مغنيًا في مكة والمدينة دون أن يستقدمه وأخذ يعبُّ من كؤوس المجون عبًا».[4]

---

[1]-بطرس البستاني، أدباء العرب في الأعصر العباسية حياتهم، آثارهم، نقد آثارهم، الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ت، ص27.

[2]-حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص697.

[3]-الوليد بن يزيد، الديوان، جمع وترتيب المستشرق الإيطالي ف. جبربالي، الطبعة التاسعة، مطبوعات المجمع العالمي، ، دمشق، د.ت، ص20.

[4]-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ص381.

ولهذا شاع في عهده الغنى والترف مع ما يقترن بهما من مظاهر وأسباب كالغناء وشعر الغزل الرقيق، والفنون التي تدعوا إليها البطالة واللهو، يقول طه حسين في ذلك «وما هي إلا أن تنشأ في الحجاز نفسه، في مكة والمدينة والطائف طبقة من هذه الأرستقراطية الفارغة التي لا تعمل شيئا إنما يعمل لها ما جلبت من الرقيق، والتي تنفق وقتها في متون اللهو والعبث والمجون، فكان الغناء والإيقاع والشعر الذي لا يصور جدا ولا نشاط دائما يصور بطالة وفراغًا وتهالكًا من أجل ذلك على اللذة أو عكوفًا من أجل ذلك على النفس».[1]

وقد أغضبت سياسة الأمويين طوائف كثيرة من العرب والموالي على السواء، «وكان لشخصية يزيد ومعاوية أثر كبير في شيوع هذا السخط بين المسلمين، فقد وصفه وفد من بعض أهل المدينة بأنه رجل ليس له دين، فيشرب الخمر، ويعزف بالطنابير ويضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب، وساد الخراب والفتيان وقد هجا الشاعر ابن عرادة يزيد بن معاوية يمثل هذا حيث قال:[2]

أبني أمية إنّ آخر ملْكِكُمْ حَسَدٌ بحوّارين تَم مُقيــمُ

طرقت مَنّية وَعنْد وَسَــادِه كُوبٌ وَزِقٌ راعِفٌ مرثومُ

ومرنة تبكي على نشوانه بالصّنْبِح تقعد تارة وتقومُ

[1]-محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني، دار المعارف، القاهرة، س1963، ص27، ص28.
[2]-المرجع نفسه، ص28، ص29.

ومن أهم «وأشهر شعراء الخمرة على الإطلاق، في هذا العهد الأخطل شاعر بني أمية».[1]

وقد تركت أصداء عديدة في جوانب شخصيته ولعل دينه قد جعله في حلّ من التحريم الذي وضعه الإسلام على الخمرة، ففاجر في شربها ومعاقرتها دون خوف أو وجل ويروى أنه دخل بلاط عبد المالك فقال له: ويحك، صف لي السكر، قال: أوله لذة وآخره صداع وبين ذلك ساعة لا أصف لك مبلغها فقال: ما مبلغها، قال: لملكك يا أمير المؤمنين أهون من شسع نَعْلي، قال فيها شعرًا، فقال:[2]

إذا ما نديمي علّني، ثم عَلّنــي ثلاث زجاجات لهن هدير

خرجت أجرُ الذَيل زهوًا كأنني عليك أمير المؤمنين أميرُ

كان الأخطل مجيدًا في وصف الخمرة ومجالسها ولكنه جرى في ذلك على سنن شعراء الجاهلية كما يرى الدكتور طه حسين حيث يقول: «إنّ الأخطل على إكثاره في وصف الخمر لم يكد يتجاوز ما سبق إليه الأعشى وغيره من شعراء الجاهلية، فهو أكثر في وصف الخمر، لكنّه لم يخترع شيئًا كثيرًا».[3]

عرف أمراء بني امية الذين سكنوا القصور في الشام كثيرًا من وسائل التمدن التي خلفها الروم في المنطقة «ولكنهم مع ذلك كانوا ما يزالون مشدودين إلى التقاليد العربية،

---

[1]-حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الدب العربي القديم، ص697.

[2]-الأخطل، الديوان، شرحه وصنف قوافيه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1414ه/1994م ، ص13.

[3]-طه حسين، حديث الأربعاء، ص78.

ولأمر ما لم يستطع الشعر في عهدهم أن يخرج من عباءة التقاليد الشعرية العربية التي عرفها الشعر الجاهلي ورسخ قواعدها».[1]

ويجب الإشارة أن شعراء البيت الأموي في هذا العهد «لم يضيفوا إلى معاني الجاهليين شيئًا جديدًا بل اكتفوا بالترديد والتكرير، كما اكتفوا بالتفصيل والتجزيء، والإكثار من الصفات التي تتعدى نطاق الظاهرة».[2]

خلاصة القول أن الشعراء قبل العصر العباسي كانوا يهتمون بإبراز الخصائص الفنية للخمريات من خلال تصوير ألوانها وروائحها ومذاقها وأوانيها ومجالسها وتأثيرها على الشاربين، ومع هذا كله مالوا بهذا الموضوع الشعري إلى المقطعات أو القصائد القصيرة وإلى الأوزان الخفيفة والمجزوءة في أغلب الأحيان، وإذا كان حديث الخمر قديما في الشعر العربي فقد كان يرد في ثنايا القصائد المركبة وحديثهم فيه قصير لا يتجاوز الأبيات المعدودات[3]

[1]–عز الدين إسماعيل، في الأدب العباسي الرؤية والفن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، س1975، ص254.

[2]-حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص697.

[3]-ينظر:نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية في العصر العباسي، ص502.

الفصل الأول

الفصل الأول: الشعر الخمري في العصر العباسي

مبحث1: عوامل انتشار الشعر الخمري في العصر العباسي

أولا: الحضارة والثراء والترف

ثانيا: التأثر بالعنصر الفارسي

ثالثا: اللهو والمجون

رابعا: انتشار الغناء

خامسا: الجواري والقيان

سادسا: الدور والحانات

سابعا: التساهل بأحكام الدين

المبحث الأول: عوامل انتشار الشعر الخمري في العصر العباسي:

أولا: الحضارة والثراء والترف

يعني مصطلح أو مفهوم الحضارة «الاستقرار والأمن والسعادة النفسية بتأمين أهداف الإنسان وحاجاته المادية والأساسية المتطورة والتي تتفق والمدة الزمنية التي يعيش فيها الإنسان، والتي تحقق خدمته ورفاهيته، فإذا وجدت الحضارة نتج عنها ما يعرف بمظاهر الحضارة، وهي التي يظنها الناس هي الحضارة وتختلف هذه المظاهر باختلاف تطور الوسائل وباختلاف مفهوم الإنسان عن الحياة، وهو الذي ينبعث من العقيدة، فالماديون يحسبون الآلات هي وسيلة التطور وحدها، ويعدون طلب الملذات والحصول على الشهوات وتأمين المصالح الخاصة وبناء الجاه، وحب الشهرة تقع كلها ضمن خدمة البشر بغض النظر عن الطرق التي يحصلون عليها».[1]

وعلى الرغم من تراجع أو توقف الفتوحات الإسلامية في العصر العباسي الأول «إلا أن ما جاء من أموال بسبب الفتوحات السابقة، وما دخل البلاد من رقيق نتيجة الشراء بسبب الثراء ونتيجة الجهاد، فإن مظاهر الحضارة قد بدأت تنحو منحى جديدا فالذين تمسكوا بأسس الحضارة الصحيحة قد انصرفوا نحو العلم فأنتجوا ، وعاش آخرون في الترف واتجهوا نحو مظاهر الحضارة الكمالية فكان البناء والعمران، وشق الأقنية والزراعة و التجارة وإن كان

[1]– محمود شاكر، التاريخ الإسلامي الدولة العباسية، الجزء الأول، الطبعة السادسة، المكتب الإسلامي، بيروت، ص31.

معظم ذلك كان يتم بأيدي غير أيدي السكان الأصليين من رقيق وزنوج، جلبوا إلى المنطقة وانصرف آخرون أيضا نحو مظاهر الحضارة الترفيهية فعاشوا في الغناء والموسيقى والشراب».[1]

برزت في هذا العهد دور الخلفاء العباسيين حيث نجدهم «يحرصون أشد الحرص على نشر الثقافة والحضارة في أرجاء دولتهم الواسعة، والعناية بترجمة العلوم المختلفة من الفارسية والهندية واليونانية وسواها إلى اللغة العربية وتشجيع الفنون والآداب في كل مكان».[2]

وبعد انتقال الخلافة العباسية إلى العراق «غلبت عليهم الحضارة الساسانية وغلبت على ما كان به من عناصر كلدانية وأرامية، وهي تبدوا واضحة في بناء بغداد إذ أقامها المنصور مستديرة على شاملة طيسفون المعروفة باسم المدائن حاضرة الساسانيين وابتنى فيها قصره المعروف بقصر الذهب، على طراز قصورهم ذات الأواوين الفخمة، وقد كشفت حفائر سامراء عن طريق بناء الدور والقصور، لا فيها فقط بل في بغداد أيضا، فقد كان يصل بين الدار والقصر وبين الشارع أو الدرب دهليز مسقوف يفضى غلى فناء واسع يسلم إلى القاعة الكبرى».[3]

---

[1]– محمود شاكر، التاريخ الإسلامي الدولة العباسية، ص35–36

[2] محمد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، 1412ه/1992م، ص15

[3]–شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، الجزء الثالث، الطبعة الثامنة، دار المعارف القاهرة ص 44

حيث توسع مجال موجة اللهو والترف في البيئة العباسية «حتى إنهم كانوا ينفقون الأموال الطائلة في غير طائل، اللهم إلا إشباعا للنفس وإرضاء لداعي اللهو واللذة، فلا عجب أن غالوا في مآدبهم وحفلاتهم مغالاة شديدة وكانت بغداد تعجب أصحاب الثراء سعة عمرانها و بهجة منظرها، وروعة قصورها ومتنزهاتها وميادينها وشتى مظاهر الحضارة».[1]

إن هذه الحالة المترفة مست عدة جوانب «التي يتضح فيها بذخ الطبقة المترفة مطاعمها ومشاربها فقد طعموا وشربوا في أواني من الذهب والفضة وصحاف الصين المزخرف والصحاف الزجاجية المنقوشة والمحظورة، وتفنن لهم، الطهاة في ألوان الطعام والشراب وكانوا يسمون باسم ما يعدون منها من خباز وشواء، وطباخ، وخياص وهو الذي يصنع الحلوى وشرابي وهو صانع الشراب وألوانه».[2]

ثانيا: التأثر بالعنصر الفارسي

يعتبر العنصر الفارسي عنصرا ذو نفوذ في المجتمع العباسي إبان الخلافة العباسية وكان وراء الانحلال الخلقي الذي شهده هذا العصر حيث «أقبل العصر العباسي بترفه ولهوه ومجونه، وانفتاحه على أقوام وأجناس كثيرة ولاسيما الفرس والروم، شاعت الخمرة، وتوسعت مجالسها وكثرت حاناتها وأنديتها، وزاج الإقبال عليها، وتوفر الشعراء ووصفوها بصورة لم

[1]-محمد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، ص34

[2]– شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي بالعصر العباسي لأول، ص52

تحدث من قبل و يبدو أن الحرية والتساهل كانت وراء هذا الإقبال ولم يكن الخلفاء بمعزل عنها فإن أكثرهم شربها».[1]

وبعد رفع مستوى العلاقات بين العباسيين والفارسيين سمح لهؤلاء الآخرين بدمج وفرض معتقداتهم وعاداتهم إضافة لأفكارهم في المجتمع العباسي مما سبب في إحداث تغييرات طفيفة في المجتمع العباسي «وجاء بنو العباس وحلت سيطرة الفرس محل سيطرة العرب، والفرس أهل عبث وغرام بالشراب فقد جعلته ديانتهم الزرادتشية من شعائرها فانغمس به حكامهم وصرفوا أمور الملك وهم سكارى وتابعهم بنو العباس على عبثهم ولهوهم فساروا قدما في هذا السبيل».[2]

إن شدة ولع العرب بالعرق الفارسي في لهوهم ونمط عيشهم وإقبالهم على الخمر حتى درجة الإدمان جعلت المجتمع العربي يتسابق إلى خوض تجربة في نمط عيش أهل فارس فاخذوا يعاقرون الحانات التي تتواجد في المدن «وكان أعراب البادية يهبطون إلى مملكتي فارس والروم ،يتزودون منها ما يحتاجون، فإذا نزلوا إلى المدن ورأوا حاناتها وخمورها دفعهم حبهم للخمر وإدمانهم لها إلى دخول هذه الحانات والشرب فيها، حتى إذا هموا بالرحيل تزودوا من خمرتها ما استطاعوا».[3]

---

[1]– رشيدة ناظم، الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل، الجمهورية العراقية، 1415هـ،1979م، ص 62

[2]– جميل سعيد، تطور الخمريات في الشعر العربي من الجاهلية إلى أبي نواس، الطبعة الأولى، مكتب النهضة المصرية القاهرة، 1945، ص127

[3]– المرجع نفسه، ص132

وعرف الفارسيون بطقوسهم وأباحوا شرب الخمر وبهذا ساهموا في اتساع نطاق الخمرة في أرجاء الخلافة العباسية، وانتشرت حاناتهم في ربوع الدولة «ومن الحق لو أن العصر العباسي لم يقبل ويقبل معه الخراسانيون من الشرق لما اتسعت تلك الموجة وانحصرت في حيز ضيق فقد أحس الفرس أن الحياة واتتهم وأخذوا يعبون كؤوس الخمر مترعة وتهالك الشعراء عليها من حولهم حتى أصبحت من أهم الموضوعات الجديدة في الشعر العباسي».[1]

وبإمكاننا أن نلمح بوضوح أثر الحضارة الفارسية حين يصف أبو نواس أكواب الخمر مافيها من رسوم وزخارف فارسية، يقول:

تدو علينا الراح في عسجديــة حبنها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها في كسرى وفي جنباتها مما تدريهما بالقصى الفوارس

فللخمر ماذرت عليه جيوبـــهم وللماء ما دارت عليه القلانس

فأنت تلاحظ في هذا الشعر ألفاظا عربية جزلة أخذها أبو نواس عن العرب وأوصافا مادية للحياة المتحضرة أخذها عن الفرس، وشيئا من استقصاء المعنى كان للثقافة اليونانية حظ فيه.[2]

[1]–شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي العصر العباسي الاول، ص67

[2]–ينظر، حامد حفني داود، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص24

أما بالنسبة لمكانة الخمرة وما فيها من أجواء كانت «ذات شأن عند الفرس وأن النفسية الفارسية غزت العالم العربي في العهد العباسي الأول فأقبل الناس على عادات الفرس في مرافق العيش، وانتحلوا نظمهم الاجتماعية والسياسية، وأكبوا على الخمرة يعبون فيها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وقد انتشرت حوانيتها في الدساكر والأرباص ومفارق الطرق وتنوعت آنيتها، وحذق تجارها طرائق تعتيقها، وفرشوا لها البساتين بين الماء والرياحين وجمعوا الجواري والفتيان وكان لذلك كله أثر شديد في الشعر».[1]

ومجمل القول من خلال تفحصنا لهذه الفكرة «نستطيع القول أن الشعر العباسي أصابه من الحضارة الفارسية في أغراضه، فتحول من وصف البداوة إلى وصف الحياة المادية التي نقلها الفرس، وظهرت في الشعر أغراض لم يألفها العرب كالغزل بالمذكر والتوسع في وصف الخمر والتغني بالحياة الماجنة كما تطور في معانيه وألفاظه وأساليبه.[2]»

ثالثا: اللهو والمجون

إن أهم أسباب النهضة الأدبية في هذا العصر هي «الحرية الواسعة التي وجدها الشعراء في ساحة النظم، فإنهم أطلقوا عنان خيالهم في كل شيء دون خوف أو وجل أو استحياء معبرين عن عواطفهم ومشاعرهم بما يملي عليهم الجو الذي كانوا يعيشون فيه وهذه الحرية إن دفعت الشعراء إلى الإكثار من النظم أدت إلى ظهور تيارات شعرية بعيدة عن

[1]– حنا الفاخوري الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص6 و8

[2]– حامد حفني داود، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ص32–33

الخلق العربي الأصيل والتربية الإسلامية النقية، ومن يرجع إلى المصادر الأدبية يجد شعرا حميا في المجون والدعوة إلى التحلل والانسياق وراء اللذة والمتعة والقصف في مجالس الجواري والغلمان».[1]

إن الاختلاط والمصاهرة القائمة بين المجتمع العربي والفارسي أثناء الدولة العباسية نتج عنها عدة نتائج «فورث المجتمع العباسي كل ما كان في المجتمع الساساني الفارسي من أدوات لهو ومجون وساعد على ذلك، ما دفعت إليه الثورة العباسية من حرية مسرفة فإذا الفرس المنتصرون يمعنون في مجونهم و يمعن الناس معهم».[2]

إضافة إلى ذلك «انتشرت العادات الفارسية في المجتمع في هذا العصر سببه هذا الاختلاط الذي صورناه وذلك الامتزاج الذي شرحناه، سواء في الطعام أو في الشراب أو السكن أو الغناء واللهو، فذاع اللعب بالشطرنج والنرد والخروج إلى البوادي والقرى للراحة أو الصيد، واصطحاب الإخوان لنزهة بين الرياض والوديان وأخذ العرب يحاكون الفرس في العناية بموائدهم بوضع الزهور والرياحين عليها وفي تنسيق البيوت وإعداد الحجرات وفي الاحتفاء بالأعياد الفارسية احتفاء شديدا ومن بينها عيد النيروز ويوم المهرجان، حيث حرصوا على أن يتلقوا فيها التهاني و الهدايا ».[3]

[1]– رشيدة ناظم، الأدب العربي في العصر العباسي، ص20

[2]– شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، الطبعة الثامنة، دار المعارف القاهرة ص 65

[3]– محمد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، ص34

كما نتج عن احتكاك الحضارة العباسية بالفارسية انتشار «العبث والمجون والفساد والإلحاد الزندقة التي حاربها المهدي والرشيد حربا لا هوادة فيها كما شاعت الشهوات والملذات، فأقبل الناس على مجالس اللهو والشراب والغزل بالمذكر وانتشرت الرشوة والخلاعة في كل مكان وكان للقيان الجواري أثرهما في هذا الميدان».[1]

فكانت للحضارة الفارسية تأثير كبير على الصعيد الأدبي في المجتمع العربي «فهناك أغراض شعرية نستطيع أن نجزم بأنها عباسية خالصة، كان لحضارة الفرس والحضارات الأخرى المجاورة حظا وافرا في انطلاقها على ألسنة الشعراء، منها التوسع في وصف الخمر فقد بالغ الشعراء في وصفها وذكر مجالسها وصف كل ما يتعلق بها من أكواب وكؤوس عليها صور ملوك الفرس، وكيف تقدم إلى الندمان في مجالس الشراب وأوقات اللهو.[2]»

وقد كثر الشعراء الذين تهالكوا على ميادين اللهو والمجون والخمر فنجد ابن المعتز يقول مصورا إقباله على حياة اللهو والمجون والخمر والغناء:

خليلي اتركا قول النصوح وقوما فامزجا راحا يـــــــروح

فقد نشر الصباح رداء نور وهبت بالندى أنفاس ريـــــــح

[1]– محمد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، ص36

[2]– حامد حفني داود، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ص14

وحان ركوع إبريق لكـــأس ونادى الديك حي على الصبوح

وهذه هي أبعاد الحياة لديه خمر وترب وساق مليح».[1]

وحظيت مجالس الخلفاء والوزراء والأمراء بنصيب وافر من الأدب فنجد أنها «تغني بالنوادر والفكهات...وهيأ ذلك لشيوع روح الهزل في بعض المقطوعات والقصائد، وكانوا يختارون لذلك بعض القصائد التي اشتهرت بقوتها الحماسية مثلا فيقلبونها في الدعوة إلى اللهو، والتواصي بشرب الخمر».[2] فقد سلك هذا المسلك الماجن العديد من الشعراء ويعتبر أبو نواس فارسا من فرسان الأدب العربي في هذا المجال فقد تألق أكثر «في وصف الخمر وتمجيدها، وعرفنا أنه لم يصف الخمر عبثا، وإنما وصفها وسيلة، إلى إعلان رأيه في تجديد الأدب وإعلان مذهبه في المجون وإعلان ما يكن للخمر من حب وما يختصها به من كلف».[3]

وباشتداد موجة اللهو والمجون في العصر العباسي كان لها صدى وتأثير كبير حتى في العصور التابعة «إذ أصبح المجون شيئا مألوفا لا ينكره العرق ولا يأباه الذوق الاجتماعي، وانطلق الناس في تطلب متع الحياة انطلاقا شنيعا وأصبحت الخمرة على الموائد

[1]– عز الدين إسماعيل، في الأدب العباسي الرؤية والفن، ص280–281

[2]– شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص189

[3]– طه حسين، حديث الأربعاء، ص103.

العامة والخاصة وعلى لسان الشعراء يتغنون بها في كل مجلس وأكبر مثل للشعر الخمري في العهد العباسي هو أبو نواس زعيم هذا الباب عند العرب».[1]

رابعا: انتشار الغناء

اقترن الخمر بمظاهر الغناء والرقص منذ بدايات العصر العباسي إذ «تحول المقيمون في كرخ بغداد وفي البصرة والكوفة بدورهم إلى حانات كبيرة للشرب والقصف في كل مساء وكان الشعراء وغيرهم يؤمونها للشرب على غناء القيان وضرب الطبول والدفوف».[2]

وكان خلفاء بني العباس معجبون بالغناء والحياة اللاهية «وكذا الطريقة التي كانت تعد عليها مجالسهم، أن العباس السفاح كان أول أيامه يظهر للندماء، ثم ما لبث أن احتجب عنهم، وصار يستمع الغناء من وراء الستار، فإذا بلغ به الطرب درجة الإعجاب، صاح وراء الستار قائلا " أحسنت والله، أعد هذا الصوت».[3]

كما نجد العباسيين «أولعوا بالغناء وتفننوا فيه، وأبدعوا في ألحانه وجددوا في آلاته وأكثروا في مجالسه، من الملح و العبث والشراب، وكانت بغداد تعجب أصحاب الثراء لسعة

---

[1]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص697–698

[2]– شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص 68

[3]–مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع وملامح تجديد من خلال الشعر في العصر العباسي، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية –بن عكنون – الجزائر، دت، ص58

عمرانها وبهجة منظرها وروعة قصورها ومتنزهاتها وميادينها وشتى مظاهر الحضارة فيها».[1] فازداد شغف الكثير من الشعراء في معاقرة «مجالس الغناء التي شهدت تطورا ملحوظا وكانت قد بدأت نهضة هذا الفن في إقليم الحجاز في العصر الأموي ولما جاء في العصر العباسي ولع بعض الشعراء بالغناء وأبدعوا في مجالسه من ملح وتنادر وشراب وغير ذلك وكانت الحياة على مجالس الغناء وأنديته حياة لاهية عابثة».[2]

وكان الغناء لازما من لوازم اللهو وقد عرف الغناء والشراب انتشارا لا حد له حتى حفلت كتب الأدب والتاريخ بأخبار الشاربين والمغنيين فلا عجب بعد ذلك في أن يؤثر شعر الغزل طريق السهولة وفي أن يختاروا لشعرهم أشد الأوزان لينا، وأقرب الألفاظ إلى إدراك الجواري والغلمان.[3]

وكما تبين لنا مما سبق ذكره «أن الشراب والغناء في هذا العصر كانا يرضيان ميولا روحية تتصل بالماضي، وحاجات نفسية تتصل بالحاضر فلا عجب بعد ذلك إذا ما تقبلهما المجتمع قبولا حسنا فانهمك الناس فيهما انهماكا شديدا ولا عجب أيضا إذا ما اندفع الأدباء تحت تأثير هذا التيار الجارف واستجابوا لرغباتهم الخاصة والرغبات ممدوحهم، وأهل

[1]– محمد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، ص34

[2]– نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في تطور الفني للقصيدة العربية في العصر العباسي، ص158

[3]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص673

عصرهم عموما فأكثروا من وصف الخمر والغناء ووصف مجالسها وآلاتها وجاهروا بالدعوة إلى ممارستها في شيء كثير جدا من الحماسة».[1]

خامسا: الجواري والقيان

الجواري ومفردها جارية هي ساقية أنثى تتصف بالخفة والميل إلى الخلاعة ويستحسن أن تكون بارعة الحسن، رشيقة القوام تمتلك مقومات الإغراء والإثارة، ويزيدها حسنا أن تكون ظريفة، فصيحة اللسان، لأنها تقوم بدور كبير في مسرح المجون والشراب أما القيان ومفردها قينة فهي الساقية المجيدة لفن الغناء والطرب إلى جانب إتقانها فن السقاية ولاسيما براعة التقديم، ولباقة التعبير وحسن الصوت[2]

وقد أسهمت الجواري في انتشار الغناء وشيوعه وفي الترف الذي مس مختلف شرائح المجتمع، ودكان الترف والنعيم حظ عدد قليل وهم الخاصة من الناس وبعض رجال التجارة والصناعة، على حين كان الفقر والبؤس والشقاء للعامة، وهم من أكثر الناس، ومن مظاهر الترف في هذا العصر كما ذكرنا كثرة الرقيق حتى امتلأت به القصور فكثر نسل الجواري واختلطت الدماء، وأشاعت هؤلاء الجواري فن الغناء، كما نشرن اللهو والمجون بين شتى الطبقات[3].

[1]–حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص674

[2]– محمود عيسى عزام، إبراهيم مصطفى الدهون، صورة الساقي في الشعر العباسي، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 46، العدد1، الملحق2، عماد البحث العلمي الجامعة الأردنية، 2019، ص219

[3]– ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، الآداب العربية في العصر العباسي الأول، 1992، ص30

كما كان لهن دور في انتشار مجالس اللهو التي عمت في الكثير من المدن «الجواري كن وراء موجة اللهو والمجون التي عمت المدن الرئيسية كبغداد والكوفة والبصرة وخرسان وغيرها، لقد شهد هذا العصر دورا للقيان انتشرت في تلك المدن ويشربون مما يقدمن من خمرة، ومن ذلك ما قاله البحتري:

أشرب في زهر الرياض يشوبه زهر الحدود وزهرة الصهباء.

فقد اجتمع في هذا المجلس الورد والمرأة والخمر، وهي من الأسباب الأساسية الذي أشاعته قيان هذا العصر». [1]

وقد تعددت وتنوعت بيوت القيان والحانات التي توفر الجو المناسب للمجان والشاربين «حيث كانت منتشرة في الكوفة والبصرة وبغداد وبلاد متفرقة في المنطقة الفارسية من الأرض العباسية ويحدثنا كتاب الأغاني بإسهاب عن هذه البيوت والحانات التي كانت تباع فيها الخمرة وهي لا تحوي سوى ضروب الفتنة والعبردة، وما يحتاج إليه المعبردون من أدوات كالبسط والنمارق التي يمتد عليها شاربوا الخمرة والأباريق المختلفة والقيان والطاسات».[2] وتتمركز معظم أو أغلبية هذه الحانات في المدن العامرة «وكانت بغداد أيضا عامرة ببيوت القيان التي أصبحت في هذا العصر كالأندية يقصدها عشاق الخمرة ومحبوا

[1]– مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، الدار الدولي للاستثمارات الثقافية، ش.م.م. القاهرة، مصر، ص20

[2]–مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع وملامح التجديد في العصر العباسي، ص75

الجواري والغلمان من كل حدب وصوب، ناهيك عن بيوت أخرى كانت لياليها كلها أعراس يحتفل الشعراء فيها بحبهم ولهوهم ومجونهم».[1]

كان للمغنين والمغنيات أثر عظيم في بلوغ أقصى درجات المجون والفساد «وهكذا لعبت القيان في حياة المجتمع العباسي دورا خطيرا بما أحدثته من تأثير في شعر الغزل شاهدته الموسيقى من تقدم و تفنن فيها على أيدي شخصيات لها وزنها الاجتماعي».[2]

سادسا: الأديرة والحانات

يعود للرهبان الفضل في اختيار الأديرة التي تقع في مواقع جميلة وهي عبارة عن بيوت اتخذوها للعبادة منذ القرون المسيحية الأولى، أما سبب كثرة انتشارها في البلاد العربية خاصة في مواطن العراق يعود إلى الرهبان الذين كانوا يزرعون أراضيهم بأشجار الكروم التي يعصرون منها الخمر المعتقة منها، وبالخصوص التي كانوا يغرسونها في ربوع الكوفة ولذلك اشتهرت أديرة تلك البلاد بجودة خمورها فغدت مقصدا لطلاب اللهو والمخمورين.[3]

فقد حولوا الأديرة إلى أماكن للخمر واللهو والمجون، أكثروا بالتغني بها ووصفوا متاعهم بخمورها ونشوتها وسقاتها «بأبيات ومقاطع وحتى بقصائد كاملة تمجدها، ويذكر الشعراء فيها أيامهم الجميلة و لياليهم السعيدة الحلوة التي قضوها فيها، ثم يتمنون العودة

[1]– مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع وملامح التجديد في العصر العباسي، ص77

[2]– عز الدين إسماعيل، في الأدب العباسي الرؤية والفن، ص260

[3]- مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع وملامح التجديد في العصر العباسي، ص89

إليها، أو يتوعدون على اللقاء في الدير الفلاني قد تنشأ علاقة صداقة و مودة خالصة بين المجان و طلاب المتعة وبين المسؤولين عن هذه الديارات»[1].

تمتع رواد و زائرين تلك الأديرة بالخدمات و الظروف التي تقدمها و توفرها لهم على غرار «الخمرة المعتقة وقد استحالت قاعات شرابها إلى مجتمعات لطلاب الخمرة والمجون ومن الشعراء وغيرهم، وكانت متناثرة في ضواحي بغداد وغيرها من مدن العراق، ونرى الشعراء الماجنين يذكرون خمرها ونشوتها من مثل قول "أبي نواس":

يادير حنة من ذات الأكيراح من يصح عنك فإني لست بالصاحي

رأيت فيك طباء لا قرون لها يلعـــبن منـــا بألبـــــــاب وأرواح

بل ولقد كثرت أشعارهم فيها كثرة مفرطة دفعت كثيرين إلى تخصيص مؤلفات لها». [2]

فهناك فئة من الأدباء بمختلف آرائهم استطاعوا أن يؤرخوا كما خلّدوا لبعض من اللحظات في «هذه الأديرة بمجموعة من الشعر صوروا فيها هذا الجانب من حياتهم اللاهية تصويرا جميلا رائعا، ووصفوا فيه هذه الأديرة وما يحيط بها من مناظر طبيعية فتانة كما وصفوا فيه مجالس الشراب في حاناتها وتغزلوا في رهباتها الجميلة وفي أولائك الفتيان والفتيات الذين اقاموا في تلك الحانات يسقون الخمر لروادها».[3]

[1]– رشيدة ناظم، الأدب العربي في العصر العباسي ص 65

[2]– شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص 69

[3]– مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع وملامح التجديد في العصر العباسي، ص91

إن انتشار هذه الحانات في العصر العباسي بشكل رهيب أدى إلى الإقبال المتهافت عليها من طرف الشعراء وعامة الناس والإقبال على اللهو والشراب وكانت البساتين في ضواحي بغداد تمتلئ بالحانات التي يختلف إليها الشعراء وغيرهم من القيان كحانة بستان صبّاح التي وصفها مطيع بن اياس في بعض شعره، ويروى الصولي أنّ أبان بن عبد الحميد أظهر من التهالك على الشراب والمجون، ما جعل أباه ينصحه أن يخرج إلى بعض البساتين لعله يسلو الخمر في البساتين أو على الأقل طائفة منها تحولت إلى حانات كبيرة للخمر والقصف والمتعة بسماع بعض المغنين والقيان.([1])

إن هذه الفئة من المجان «يعرفون جيدا بيوت اللهو وأماكن الحانات وهم فيها يبدون من ذوي الوجاهة، وشخصيات إن لم تكن من البيت العباسي كابن المعتز فهم على كل حال من ذوي المكانة، وابن المعتز يصفهم بأنهم ملوك و إن كانوا قد تواضعوا أمام لذات الشباب وقد سبق أن ذكرنا أنّ كثيرا من هذه الحانات كانت تقوم بجوار أديرة النصارى، والحق إن الأديرة نفسها وبما عرف عن رهبانها من احتفال بالخمر وكانت من الأماكن التي يغشاها طالبوا الشراب».[2]

[1]–ينظر، شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص68–69

[2]– عز الدين إسماعيل، في الأدب العباسي الرؤية والفن، ص282

سابعا: التساهل بأحكام الدين

ضعف سلطان الدين في العصر العباسي وخاصة بعد تشجيع الخلفاء للحياة اللاهية والماجنة فارتد الكثير من الناس عن الدين الإسلامي وضعفت الأحكام المتعلقة بالدين مما أدى إلى انتشار اللهو والمجون والإقبال على الشرب وارتكاب المعاصي والانحلال الخلقي الذي شهده هذا العصر تأثيرا و تقليدا للعنصر الفارسي، وكثير من دور الشعراء أنفسهم في بغداد تحولوا إلى مقاصف للخمرة و المجون على نحو ما كانت دور مطيع ابن إياس ورفقائه في الكوفة ودار بشار في البصرة ودار أبي نواس في بغداد وكانت هناك أيام على مدار السنة يخرجون فيها للهو والقصف والعبث والمجون وفي أيام الأعياد: أعياد الإسلام وأعياد الفرس والنصارى وكانت تأخذ شكل كرنفالات عظيمة يخرج فيها الناس للشراب.([1])

كما اتخذ كثير من الماجنين وشاربي الخمر أياما خاصة بالأعياد والمناسبات وأماكن لتناول الخمرة والاستمتاع بها والاحتفال واللهو والسهر المباح والغير المباح، وكان منهم من يتهادون على صفحة دجلة في القوارب الجميلة ومنهم من يعبث في البساتين، أما أعياد الإسلام فهي عيد الفطر وعيد الأضحى، وأما أعياد الفرس فكانت كثيرة مثل عيد السدق وهو عيد مجوسي للنار وكانوا يوقدونها طوال الليل متغنين من حولها وراقصين ومن أعيادهم أيضا عيد هرمز إله الخير وفيه. يقول دالبة ابن الحباب ([2])

[2]– ينظر، شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ص 70

قد قابلتنا الكؤوس ودابرتنا النحوس واليوم هرمزد روز قد عظّمته المجوس

فظنت أمم وأعراق كثيرة «أن نشوة الخمر من ضعف النشوة الدينية ثم زادت فتزعمت أنها جزء منها فلم تكد تخلوا طقوس العبادة لديها من شرب الخمر وأخذها مآخذ المراسم الدينية الواجبة ثم زادت بعضها على هذا فجعلت شرب الخمر شعيرة دينية قائمة بذاتها تتخذ بها طقوس خاصة تقرر ماينبغي فعله وما لاينبغي أثناء الشرب، وعدت أديان كثيرة الخمر شرابا إلهيا واعتبر بها روح الحياة[1].»

ولذا نجد الكثير من الشعراء المدمنين على الخمرة قد دافعوا على شربها ومنهم "أبي نواس" «ولنستمع إليه أيضا وهو يجادل في قضية تحريم الخمرة ويرد على من يحرمها ويكفر شاربها معتمدا في ذلك على الآيات الكريمة والحجج العقلية التي يتكئ في عرضها الدين نفسه».[2]

أدر كأس المدامة يا نديمـــي ولا تسمع مقال العاذلينـــا

وأدى هذا التهالك على الخمر في أوساطا المجتمع العباسي إلى نشوب «الصراع في هذا العهد بين أهل القديم وأهل الجديد وبين العرب والشعوبية كما اختلف الناس في شأن الخمرة،

[1]-أحلام الزعيم، أبوا نواس بين العبث والتمرد، دار الحقائق، بيروت، لبنان، د ت، ص230

[2]–المرجع نفسه، ص 121–122

تحللها فيئة وتحرمها أخرى أما الشعوبية فراحت تنافس العرب في دينهم وتقاليدهم وآدابهم وراحت تعزز شأن الخمرة أنها عنصر من عناصر الحياة الجديدة.[1]»

[1]– حنا الفاخوري الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص698

المبحث الثاني: مضامين القصيدة الخمرية العباسية

أولا: الخمر والمجون.

ثانيا: الخمر والطبيعة.

ثالثا: وصف الخمرة.

رابعا: وصف تأثير الخمرة على شاربها.

خامسا: وصف مجالس الخمرة.

سادسا: وصف الساقي.

سابعا: وصف الكأس.

المبحث الثاني: مضامين القصيدة الخمرية العباسية

أولا: الخمرة والمجون

شاع الخمر والمجون في العصر العباسي فاتجه معظم الشعراء إلى هذه الحياة الماجنة ومن بينهم "أبي نواس" «إذا أردت أن تغوص في أعماق نفس أبي نواس وتبين حقيقته فما تستطيع ذلك في شعره الجدي، وإنما تستطيعه في عبثه ولهوه في خمرياته، فهي مرآة صافية تنعكس عليها ذاتية الشاعر الماجن. وأبو نواس يشرب الخمر ويتعبد لها، فإذا ذكرها افتتن في وصفها، وشبب بها تشبيبه بأحب الناس إليه وقد سنحت له معان في وصفها لم يفتضها سواه، فعرف بها وعرفت به، وجعلته في هذا الفن».[1]

إضافة إلى شعراء آخرين انغمسوا في اللهو والمجون وشرب الخمر ونجد في مقدمتهم «أبو الهندي يدعو الناس جميعا إلى شرب الخمر لأنها جديرة بالحب ولأنها تبهج القلوب ,والحياة قصيرة تقتنص فيها الملذات اقتناصا ولماذا يقبل الناس عليها متحرجين مع أنهم يرتكبون من الآثام هو أفظع وأشنع من شربها.[2]» ويقول :

أصبب على كبدك من بردها إني أرى الناس يموتونـــا

وأدع أناسا كرهوا شربهـــــا ليسوا بما في الخمر يدرونا

[1]-بطرس البستاني، أدباء العرب في لأعصر العباسية ص64

[2]– محمد مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص483

ولم يقتصر الأمر على شربها «وقد بلغ من حب أبي الهندي للخمر ووقفة حياته عليها واندماج روحه فيها أنه أراد أن يجعل كفنه ورق الكرم وقبره المعصرة.[1]»حيث يقول:

اجعلوا إن مت يوما كفني ورق الكرم وقبري معصـــرة

وادفنوني وادفنوا الراح معي واجعلوا الأقداح حلو المقبرة

ثانيا: الخمرة ووصف الطبيعة

وصف الشعراء الجاهليون والأمويون مرات عدة جمال الطبيعة والأزهار على تعدد ألوانها «دون أن يلاحظوا في ذلك شيئا سوى جمال منظرها وتضوع شاذاها ،حتى إذا جاء العصر العباسي بعلمه وثقافته وفلسفته، نضج العقل الإنساني وأصبح يرتبط بين المظاهر الطبيعية المختلفة ,فيرى شبها بين صفرة الوجه من أثر الشوق والصفرة الطبيعية في الورود والأزهار، ويحس في النسيم رقه واعتلال فيخيل إليه أو بعبارة أدق يخيل إلى الناس أنه يعاني من الشوق إلى الحبيب مثل ما يعانه فأصيب بما أصيب به الشاعر من رقته».[2]

[1]– مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني، ص485

[2]-- محمد عبد العزيز الكفراوي، الشعر العربي بين الجمود وتطور،ص 183

ونجد "أبو نواس" في الكثير من الأبيات التي دعا «من خلالها إلى التمتع بالعالم وبهاء الطبيعة عبر تغنيه بالخمرة وحثه في الإكثار فيها:

ألا فاسقيني مسكية العرف مزة على نرجس تعطيك أنفاسه الخمر

عيون إذا عاينتها فكأنمـــــا دموع الندى من فوق أجفانها در

إنه يجعل من الخمرة ومجالسها أفلاكا وكواكبا وشموسا تدور، يقول:

من سلاف كأنها كل شـــــيء يثمن مخيـــر أن يكونـــا

أكل الدهر ما تحسم منهـــــا وتبقى لبابها المكنونـــــا

في كؤوس كأنهـــــا نجـــوم جاريات بروجها أيدينـــــا

إنها كؤوس الخمر ينعتها بالنجوم الجاريات التي تمسك بها أيدي الشاربين لتظل في دورانها على الشاربين مشرقة متلألئة، حتى إذا مالت إلى الغروب غربت فيهم». [1]

فللخمرة أبعاد عند أبي نواس« ولم تكن الخمرة عند شاعرنا وسيلة لتبديد الهموم فحسب بل كانت كذلك وسيلة لكشف منابع الحس والجمال في كل الأشياء ... ففها يحمل العالم وتحلو الطبيعة، وفيها يقترن جمال الأنوثة وحسن السقاة ... وفيها يتجلى جمال الدنيا وروعة الوجود».

[1]–أحلام الزعيم، أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد، ص198–199.

ووصف لنا فتيان الشاغوري قرية الزبدني ويقول :« شهر كانون شتاء والثلوج تتراكم على أشجارها و نباتاتها في شهر كانون زمن الشتاء مهيأة لازدهارها في زمن الربيع :

قد أجمد الخمر كانون بكل قدح وقد أخمد الجمر في الكانون حين قدح

يا جنة الزبداني أنت مسفـــــــرة عن وجه حسن إذا وجه الزمان كلـــــح

فثلج قطن عليك السحب تندفـــــه و الجو يحلجه والقوس قـــــوس قـــــزح

وقد صور فتان كل ما يحمل ماء في الزبدان بأقداح تحمل الخمر وقد جمدها القر الشديد وأمخد الجمر في الكانون والموقد حتى اتقد، ويتصور قرية الزبداني جنة من جنان الدنيا، وما يلب ثان يصور الثلج وهو يتساقط كالريش من السحب مثل قطن والسحب تندفه بقوس قزح والجو يحلجه صورة بديعة».[1]

ثالثا: وصف الخمرة

في الحديث عن وصف الخمرة وذكر نشوتها عند أبو نواس نجد مرد ذلك يعود «إلى الشاعر نفسه ،فقد تعشق فنه وأخلص له ولذلك نجده يبدع ويجدد في أكثر من ناحية فكل ما له علاقة بالخمر أشبعه النواسي تصويرا ووصفا استمع إليه يتحدث وهو يصف حاله كيف

[1]– شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الشام، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، دار المعارف ،القاهرة ، د.ت، ص 258.

كان يتأمل الكأس هي المعشوقة وليست الخمرة ولكن عينه ترى مالا ترى أعين غيره فيقول:[1]»

قد أدمن النظرة في كأسه كأن من يهواه كأســـه

فهو إذا شاء رأت عينـــه ما لا ترى أعين جلاسه

وفي الخمرة ووصفها نجد "أبو نواس" «حين يطالع الدارس شعره يجده قد وقف حياته أو كاد على وصف الخمر والتغني بها والتعبير عن إحساسه نحوها، ويجده يكاد يتخصص فيها وحدها دون باقي أغراض الشعر فهي هي مذهبه الشعري.»[2]

أبدع "أبو نواس" في وصف صور جديدة للون الخمرة «هذا الوصف المبدع المتمثل في إدعاء الشاعر بأنه لحسن جمال الخمر المسكوبة في الكأس وروعتها في عينه، فإنه صرف نظره عنها خوفا عليها من العين الحسودة أن تصيبها رغم أن عينه ما زالت نافثة فيها.[3]»

فيقول:

لم تنظر العين إلى منظـــــر في الحسن والطرف بدانيها

ما زلت خوف العين لما بدت أنفث في كأسي وأرقبهـــا

[1] –مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي، ص300.

[2] –محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص491

[3] – مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي، ص307

كان وصف "أبي نواس" للخمر «وصف المحب لحبيبته، المتفنن في تخيل جمالها وتمثلها، وإبراز أحلى ما فيها من خصال وعناصر والحقيقة إن الجديد في خمريات أبي نواس أنه أشاع الحياة في الخمر واعتبرها شقيقة روحه وتوءم نفسه واعتبرها في أحيان أخرى أمه التي ترضعه بلبانها، وكان يتصورها كأنها عروس ويخاطبها وتخاطبه».[1]فمن ذلك قوله:

فاستوحشت وبكت في الدن عائلة يا أم ويحك، أخشى النار واللـــهب

فقلت لا تحذريه عندنا أبـــــدا قالت: ولا الشمس قلت: الحر قد ذهبا

قالت: فمن خاطى هذا فقفلت: أنا قالت: فبعلى؟ قلت: الماء إن عذــبا

وكما نجد محمد عبد المالك زيات الذي يقول في وصف صفاء الخمرة:

أسقي الصديـــــق بمنـــــزل لم يرو فيـــه المـــــاء عودا

صهبـــاء صافيـــــة كـــــأ ن على جوانبهـــا العقـــــودا

هذه جملة أبيات كتبها الشاعر عندما طلب إليه الحسن بن وهب أن يهديه مطبوخ العراق أي نبيذها، والقصيدة تدور حول مدح الذات والفخر بالنفس حتى أنها لتكاد تخرج عن إطار الخمريات لولا أن حديثه عن الصهباء تخلل أبيات القصيدة في مواطن عدة، وفي

[1]– محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص492

الأبيات وصف للخمرة في صفائها، وجمال إنائها، وقدمها، وجميع هذه الأوصاف والمعاني مطروقة في شعر سواه. [1]

تعدد ألوان الخمر في أشعار "أبي نواس" «وسيطر على وصف أبي نواس للون الخمر في أشعاره لونان رئيسيان هما الأصفر والأحمر، فتارة يصفها أنها صفراء:

صفراء زان رواءها مخبروها فلها المهذب من ثناء الحاسي

وتارة يصفها بأنها حمراء:

راحا مشعشعة، حمراء، صافية بالكوخ عتقها الدهقان فادوسا

وقد يصفها بالصفاء المشوب بحمرة:

صفراء، كرخية حمراء إذا مزجت كأنها وجل يعلوه لونـــــان

وأحيانا بالصفار المشوب ببياض فيصبح لونا من لون الدر، المتطاير في حزمة الضوء على نحو ما نرى في الصورة التالية:» [2]

صفراء، سلك جمان لؤلؤها ألفات كاتب سيد الفـــرس

ترمي الحباب بمثله صعدا دقت مسالكها عن الحس

[1]– نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطور الفني القصيدة العربية حتى العصر العباسي ص515.

[2] –أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، دار المعارف الجامعية، ص105.

فهناك نخبة من الشعراء الذين تقاسموا هذا الموضوع الشعري فنجد «عكاشة العمى وكذلك سبق أبا نواس وعاصره، وعرف قبله بوصف الخمر عكاشة العمى من أهل البصرة حيث نشأ أبو نواس ,وبنو العم المنسوب إليهم عكاشة جماعة ملحقة بتميم، وعكاشة شاعر من شعراء الخمر ممن يشبه نهجه في وصفها وطريقته، نهج أبي نواس وطريقته، قد كان معروفا بوصفه الخمر أيام المهدي أيضا ،فقد أشده قوله فيها :» [1]

حمراء مثل دم الغزال وتارة عند المزاج تخالها زرياب

دون نسيان الشاعر علي بن الخليل الذي نظم أشعارا «يصف لنا طعم الخمر التي كان يدمن احتساءها ويتحدث عن لونها ورائحتها وتأثيرها في شاربها, ويمزج ذلك كله بالعدل لمن يعترض شربها والتشكيك في راح الجنة التي وعد بها المتقون، يقول:» [2]

اسقيني وأسق خليلـــــــتي في مدى الليل الطويـــــل

قهوة صهباء صرفـــــــا سبيت من نهـــــر بيـــل

في لسان المرء منهـــــتا مثل طعم الزنجبـيـــــــــل

لونها أصفر صـــــــاف وهي كالمسك الفتيـــــــــل

[1]–نجيب محمد البهبيتي، تاريخ الشعر العربي حتى أخر القرن الثالث الهجري، ص420.

[2]–محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص486

وأبو الشيص غالبا ما يصف لنا الخمرة وصفا ماجنا ومدمنا عليها «وهو في إحدى قصائده يحدثنا عن الخطوات التي مرت بها الخمرة منذ اعتصارها إلى أن وصلت إليه عجوزا تخفى تجاعيد الزمن في وجهها بما تضمخ به جلدها من طيب وزعفران .يقول:» [1]

وعذراء لمتفترغهـا الشـفـــاه ولا استامها الشرب في بيت حان

ولا احتلبت درها أرجـــل ولا وسمتها بنـــار يـــــــدان

ولكن غذتها بألبانـــــهـــا ضروع يحف بهـا جـــــدولان

إلى أن تحول عنها الصبـــا أهدى الفطام لها المرضعـــان

رابعا: وصف تأثير الخمرة في شاربها

بلغ "أبو نواس" الذروة في وصف أثر الخمر في شاربها «وسجل فيه المشاعر العميقة التي تنتاب الشارب من توهمه سكر ما حوله حتى الأزهار في البستان إلى خلطه بين الأشياء وتصوره اللاشيء شيئا وسوى ذلك من مشاعر السكر الدقيقة.» [2]

وفي هذا الصدد يقول:

»

[1] محمد مصطفى هدارة اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص 486.

[2] المرجع نفسه، ص496.

ومهفهف نبهته، لما هـــــــــدا بتلجلج كتلجلج الفأفـــاء

وفعفوت عنه، في الفؤاد من الهوى كتلهب النيران في الحلفاء[1]»

ونجده يصف «الأثر القوي الذي تحدثه الخمرة بعد شربها في محيط الرأس و بخاصة عالم المخ.[2]»

دبابة في عظام الرأس ساطعة لا تستبكين لأنسي ولا جان

سورتها في الرؤوس ساطـعة ولينها في المذاق كدهـــن

يسوقون من قهوة معتقـــــة لها دبيب في المخ يستبق

وكما يقول أحمد بن يوسف:

«أصبحت مخمورا أحدث عن نفسي ومالي من علم لما كان بالأمس

سقاني عبيد من بدية مدامـــــة يصرفها لي ثم يلحى على الجلس

فيا رب يوم قد حمت مســـاءة يباركني ذم له مطلع الشمـــــس

فهو في هذه الأبيات يتحدث عن حاله وهو سكران يهذي، ويفشي أسرارا ذاتية، وليس له إرادة أو قدرة على امتلاك جماح نفسه، لأن الخمرة فعلت فيه فعلها، فأفقدته توازنه

[1]-أبو نواس، الديوان، حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، د.ت. ص20.

[2]- مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي، ص307.

وفسحت له مجالا للحديث ما كان ليخوض فيه لولا تأثير الخمر، وهو لا يذكر من أمسه سوى ذلك الساقي ».[1]

وتأثير الخمر عند "أبي نواس" والحديث عن فعلها له قيمة خاصة واتضح ذلك «في إبداعاته الفنية في تلك الصور التي تحدث فيها عن تأثير الخمر على شاربها ودبيبها في حواسها وهي صور لاحظ الباحثون المحدثون ما فيها من إبداعات كان أبو نواس سابقا إليها على نحو ما نرى في المقطوعة التالية: والذي يقول في بعض أبياتها:» [2]

مسحولة مزة كالمسك قرقفـــــة تطير الهم عن حيزوم حـــران

هي العروس إذا داربت مزجتها وإن عتقت عليها أخت شيطان

أسفر عن إدمان وافتتان "أبي نواس" عن شرب الخمر «إبداع الصور الجديدة المبتكرة التي تتناول وصف فعل الخمر وتأثيرها في نفوس شاربيها، وهي صور لا تكتفي بمجرد العلاقة بين أجزاء الصورة وأركان التشبيه على نحو ما نراه شائعا في شعر الخمر قبل أبي نواس وإنما هي صورة تتداخل فيها المرئيات والمسموعات والمشمومات مع عالم الداخل بما فيه من أوهام وخيال وتداعيات وخلط ولا منطقية أي أنها صورة يمزج فيها الحس باللاحس والمادي والمعنوي.

[1]–نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطور الفني القصيدة العربية حتى العصر العباسي ص514.

[2]–أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص115–116.

فهي تارة شديدة الوهج تتكسر فيها الأشعة وتنعكس فتطرق أجفان شاربيها لانعكاس الضوء عليها وفيها: يقول:» [1]

فكأنما أجفان شاربهـــــــا مطروفة بتلألؤ النجـــــــم

ففي كل مرة يصف الخمر والشراب ويلبسها ثوبا جديدا غير مألوف و يعبر عن شهوته لها «وهي تارة كوكب في داج من الليل يشتهيه الشارب تقبيلا كأنه امرأة ينفن في نفسه في أحضانها في ليلة مظلمة فيقول:

إذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا

وهي تدب في العظام وتسرى فيها فتستل المرء من يقظته، فيقول:

ولها دبيب في العظام كأنه قبض النعاس، وأخذه بالمفضل.»[2]

خامسا: وصف مجلس الخمرة

يعتبر غرض وصف مجالس الخمر غرض له جذور في الشعر العربي القديم «وكان الأعشى إمام هذه الصناعة في الجاهلية، وممن ألموا بوصفها عمرو بن كلثوم في معلقته، وبعد عهد الجاهلية اشتهر بوصفها أبو محجن الثقفي، وعمرو بن حسان بن هانئ ويزيد بن معاوية، والوليد بن يزيد؛ وقد ذهب به الشراب كل مذهب وجاء العصر العباسي

[1] – أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص116–117.

[2]– المرجع نفسه، ص117.

وأغرق الشعراء في وصف الخمر وبالغوا في ذمها وأسرفوا في الحديث عنها والدعوة إليها وجعلوا القصيدة وفقا على هذا الفن أو استهلوها بتحسين شربها، بدلا من وصف الأطلال أما قبل هذا العصر فلم يكن وصف الخمر فنا مستقلا من فنون الشعر.» [1]

ولا عجب إذ ما لب العديد من الأدباء نداء «هذا التيار الجاري واستجابوا لرغباتهم الخاصة ولرغبات ممدوحهم وأهل عصرهم عموما فأكثروا من وصفف الخمر والغناء ووصف مجالسها وألاتها وجاهروا بالدعوة إلى ممارستها على شيء كثير جدا من الحماسة.[2]»

فشعراء الخمريين كانوا متمكنين «في وصف مجالس الخمر لا يغفلون الغناء فيه كونه عنصرا لازما من عناصره؛ لكن أبا نواس لا يكتفي رغما يضمن الشعر الأغنية نفسها وذلك كثير جدا في شعره ومنه قوله:

فجاء بها تخب كمـــاء مـــــزن وأنشأ منشـــدا شعـــر اقتـــراح

أتصحو بل فؤادك غير صـــاح عشيـــــة هم صحبـك بالـــروح

[1] –محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، دار الجيل بيروت،1410هـ ص95–96.

[2]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص674.

وقال أيضا:

فقال هات اسقني واشرب وغن لنا يا دار شعناء بالقاعدين فالساح »[1]

ومن صور أبي نواس المبتكرة حقا وصفه للسرور الذي يعم مجلس الشراب بقوله:

في مجلس ضحك السرور بـــــه عن ناجذيه وحلـــــت الخمـــــــر

فكأنه جسم معنى السرور وجعله إنسانا يفقهه حتى يظهر ناجذاه خليا من هموم الحياة طليقا إلا من أسار الخمر.» [2]

وله ما يكفي من الإلهام والقدرة في إعطاء للخمرة أبعاد يخص فيها أحد «ولنستمع إليه كيف يحمل خمرته أبعاد نظرته الإنسانية جاعلا من مجالسها نواد عامرة بالحب والإيثار والتضحية والكرم».[3]

ويقول:

ومجلس ما له شبيـــــه خل به الحسن والجمال

يمطر فيه السرور مدحا بديعة ما لها انتقـــــال

شهدته في شباب صدق ما إن تسامي لهم أفعال

[1] نجيب محمد البهيتي، تاريخ الشعر العربي حتى أخر القرن الثالث الهجري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة, 1950.ص443.

[2]– محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، 1963، ص584.

[3]– أحلام الزعيم، أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد، ص213.

فشاركه في وصفه لمجالس الشراب شعراء آخرون استطاعوا أن يتركوا هم أيضا أثرا في هذا الموضوع الشعري. «ويحدثنا إبراهيم الموصلي عن مجلس الشراب نام فيه سكرا وخدرا لكثرة ما شرب ثم نبهه ندمائه للقيام لمواصلة الشرب ويقول: »[1]

ربمـــا نبهني الإخوان والليـــــل بهيـــــــم

حـين غارت وتدلـــت في مهاويهـــا النجـــوم

ونعاس الليل فـــي عيـ ـني كالناوي المقيـــــم

وبالحرية التي كانت متاحة للأدباء في العصر العباسي في موضوع الخمر واللهو «زاد إقبال الشعراء في وصفها بصورة لم تحدث من قبل واهتموا بها لا باعتبارها موضوعا تقليديا يخوضون فيه ولكن لأن شربها أصبح جزءا من حياتهم المتحضرة يألفونه ويتلذذون به، لذلك فهم يعبرن عن هذه الألفة وتلك اللذة بهذا الوصف للخمر ومجالسها وما يتصل بها من ندامى وسقاة ومجون وريحان وكؤوس ومن هؤلاء الشعراء حماد عجرد الذي يصف لنا في إحدى قصائده مجالس شراب بين الماء والكروم وساقيهم حسناء ذات دلال فيقول:[2]»

في جنان بين أنهـــــ ار وتعريش كـــــــــروم

تتعاطى قهوة تشخص يقضان الهمـــــــــــوم

بنت عشر تترك المكـ ـمنها كالأمـــــــــــيم

فأقبل الشعراء يتغنون و «يتحدثون عن الخمر تفصيليا دقيقا لا يتركون فيه شيئا من أوصافها المحسوسة أو غير المحسوسة، كذلك كان لا يفوتهم وصف شيء من مجالسها

[1]– محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص487.

[2]– المرجع نفسه، ص485، 486.

التي أصبحت في درجة كبيرة من التحضر والأناقة فهي إما في ديارات ذات بساتين رائعة وإما في حانات جميلة سواء أكانت تقع في القرى أم في المدن وفي هذه المجالس كانت توجد الرياحين وأنواع الورود ذات الرائحة الفواحة بالشذى وكان يوجد السقاة فتيان أو فتيات يلبسون ملابس أنيقة زاهية الألوان و يتميزون بالجمال الباهر واللطف والتهتك أيضا ، ولا بأس لديهم من الاستجابة لأحلام السكارى ورغباتهم.» [1] ويقول "ابو نواس":

«ومجلس خمار، إلى جنب حانة بقطربل الجنان الحدائـــــق

تجاه ميادين، على جنباتهـــا رياض غدت محفوفة بالشقائق[2]»

سادسا: وصف صورة الساقي

فحتى صورة الساقي أبدعوا فيها الشعراء العباسيين في القرن الثاني الهجري «تفننوا في وصف صورة الساقي تفننا فنيا دقيقا، تجاوز رصد المعالم الجسدية بدءا في جنسه ولون البشرة، وتقاسمها ملامحها وصولا إلى سبر أدواره والكشف عن جنسيته ودياناته.[3]»

حضي الساقي عند شعراء الخمرة «بمرتبة كبيرة تقارب مكانة الخمرة في العناية والتقديس واستطاع نفر من الشعراء أن يخلقوا منه عالما شعريا منفردا بخصوصيته وعمق

[1]– محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص490.

[2]– أبو نواس، الديوان، ص171.

[3]– محمد عيسى غزام، إبراهيم مصطفى الدحهون، صورة الساقي في الشعر العباسي، ص221.

صفاته فوجدوا فيه وسيلة فنية وأداة تعبيرية توكأوا عليها، ليغنوا تجاربهم، ويكشفوا عن مشاعرهم وخواطرهم بحسب ما تمليه وفقاتهم الشعرية.» [1]

وبهذا نجد أبا نواس أطلق لنفسه العنان وأبدع «في وصف الغلمان من السقاة حيث كان يختارهم في أوصافه حديثي السن، بارعي الحسن، مخطوفي الخصر، يلينون ويتكسرون في مشيتهم، فالساقي عنده كالظبي النافر، الناعم الإهاب وهو أبيض اللون كالبدر غرته وكالليل طرته، قد تكسر الشعر جبينه واوات، أحور مكحول العين، أغن الصوت، في عينه تفتير رخيم الكلام خنث الشمائل، مخصب البنان، معصوب بتاج من الرحايين إلى غير ذلك من الأوصاف ومن الأمثلة التي تظهر فيها بعض هذه الأوصاف قول أبي نواس:» [2]

تمد بها إليك يدا غـــــلام أغنا كأنه رشا ربيـــب

غذته صنعته الديات حتى زها فزها به دل وطيب

يخر لك العنان إذا حساها ويفتح عقد تكته الذبيب

ويعطي حضور الساقي في سياقات أبي نواس بعدا جدمهم «في تشكيل الرؤية، فقد برع في توظيفه، ليأتي ركيزة أساسية من مرتكزات الشراب وتجسيدا لما ارتبط به من مظاهر الفتنة والفجور بحيث تستفز العقول وتبعث على اللهو ومعاقرة المدامة في مجلس تدار فيه كؤوس الصهباء، فيستلذ أهله سبيل الضلالة والغواية والتعهر، فلا غرابة أن يسبغ عليه

[1]– محمد عيسى غزام، إبراهيم مصطفى الدحهون، صورة الساقي في الشعر العباسي ، ص225.

[2]– أيمن محمود زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص137.

صفات تمام الهيئة ومزايا تقترب من الأنموذج المثالي في التعبير عن الجمال والتمجيد ولعل قوله التالي شاهد على ذلك.» [1]

يسقيك مختلق، ماجـــــن مــعود للسقي، نحريــر

منقطع الردف، هضيم الحشا أحور، في عينيه تفتيــر

قد عقربت رابية صدغـــــه فالصدغ بالعنبر مطرور

وبعد موضوع الغزل بالمذكر في أهم مستجدات العصر العباسي في المجال الأدبي وبعد هذا خروجا عن المألوف أو أقصى درجات المجون «ولقد كان أبو نواس صريحا في تفضيله للذكور من السقاة على الإناث، يصرح بذلك في أكثر من موقع في ديوانه، بل تراه شديد القطع والحماسة في هاذا التفضيل، يقول في ساقية:» [2]

أموت إذا أزال الكأس عني وأحيا من يديه إذا سقانـــــي

فلي سكران منه سكر طرف وسكر من رحيق خسرواني

تجمع فيه أصناف المعاني فما يلغى له في الحسن ثان

سابعا: وصف الكأس

واهتم الشعراء في هذا العهد حتى يوصف أواني الشراب فكانت « موضعا جديرا باهتمام الشعراء لتعددها وجمال صنعها ودقة فنها، وخاصة تلك الكؤوس البلورية التي كانت نرسم

[1]– محمد عيسى غزام، إبراهيم مصطفى الدحهون، صورة الساقي في الشعر العباسي، ص221.

[2]– أيمن محمود زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص138.

عليها نقوش وتصاوير فارسية قديمة ولم تعد الأوصاف ساذجة تشبه المحسوسات بالمحسوسات فحسب ولكن الشعراء استخدموا معارف عصرهم وخاصة في الفلسفة والطبائع والفلك ليقدموا لنا صورة مجلوة للخمر وأوصافا جديدة في جانب كبير من العمق والتفنن في الخيال.» [1]

ويقول "أبو نواس":

« نبه نديمك قد نعس يسقيك كأس في الفلس

صرفا كأن شعاعها في كف شاربها قبس[2]»

وقال كذلك في وصفها:

" لا تبكي ليلى ولا تطرب إلى هند واشرب في الورد من حمراء كلورد

كأس إذا انحدرت في حلق شاربها أجدته حمرتها في العين والخد

فالخمر ياقوتة، والكأس لؤلؤة من كف جارية ممشوقة القد» [3]

وخير ما يعبر عن مذهب أبي الهندي في وصف الخمر، تلك القصة التي يجعلها فيها الخمر حبيبة يسمو إليها بعد نوم أهلها وهو يقبلها فوق الفراش حين ينفحه عطرها ويصف أبو الهندي الأباريق التي تتلألأ في أيدي السقاة

«ويقول في وصف الكأس.» [1]

[1] – محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص490.

[2] – أبو نواس، الديوان، ص318.

[3]– أبو نواس، الديوان، ص27.

سيغني أبا الهندي عن وطب سالم أباريق كالغزلان بيض نحورها

مقدمة قزا كأن رقابهـــــــــــــا رقاب الكراكي أفزعتها صقورها

[1]– ينظر، محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص484.

المبحث الثالث: بنية القصيدة الخمرية العباسية

1- على مستوى الشكل

2- على مستوى المضمون

البنية:

نقيض الهدم، وبناه بنية وبناية والبناء، المبنى وبنيه الكلام: صياغته ووضع ألفاظه ورصف عباراته و إلى ذلك ذهب قدامة فقال: بنية الشعر إنما هو التشجيع والتقفية، فكلما كان الشعر أكثر اشتمالا عليه كان أدخل له في باب الشعر وأخرج له عن مذهب النثر وكان ابن طباطبا قد أطلق البناء على نظم الشعر فقال: فإذا أراد الشاعر بناء قصيده وأدخل في بنائها اللفظ والمعنى والقافية، والوزن وربط الشعر بعمل النقاش الرقيق وناظم الجوهر.([1])

القصيدة:

فالقصيدة هي عبارة عن «مجموعة من الأبيات الشعرية ترتبط بوزن واحد من الأوزان العربية وتلتزم فيها قافيه واحده. وفي لسان العرب القصد استقامة الطريق... والقصيد من الشعر ما تم شطر أبياته. وفي التهذيب: شطرأبنيته، سمي بذلك لكماله، وصحة وزنه. وقال ابن جني: سمي قصيدا لأنه قصد واعتمد و إن كان ما قصر منه واضطرب بناؤه نحو الرمل والرجز شعرا مراد مقصودا، وذلك أن ما تم في الشعر وتوقر اثر عندهم وأشد تقدما في أنفسهم....الخ. وقال المظفر العلوي، وأما القصيد فهو: جمع قصيده. مثل "سفين والسفينة" فإنما اشتقت لفظتها من القصدة، وهي القطعة من الشيء إذا تكسر، كأنها قطعه من الكلام».[2]

[1]-أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشزون، لبنان، 2001، ص323

[2]- المرجع نفسه، ص323

ونتج عن احتكاك الثقافات والحضارات فيما بينها في العصر العباسي تأثير على مستوى العلاقات القائمة بينها، «وفي التأثير العقلي والحضاري والاجتماعي لهذه الأمم في الأدب، ظهر أدب جديد اختلف اختلافا كبيرا عن الأدب العربي القديم في العصر الجاهلي والإسلامي سواء في الشكل أم المضمون. وهذا إن دل على شيء فإنما يدلنا على مرونة الأدب العربي، وطواعيته لاستقبال كل جديد طارئ، وكل غريب وافد».[1]

أ-على مستوى الشكل:

وفي العهد العباسي ظهر تيار يدعو لتجديد في الشعر وثار الشعراء على بناء وهيكل القصيدة العربية القديمة «وكانت البداية بالدعوة على التخلي عن المقدمة الطلالية فأبى نواس يعلن رفضه لوصف الديار أو الوقوف على ردوعها الخالية. كما يرفض ما يجري في هذا التقليد في هذا السياق، وما كان ذات يوم جزءا من طبيعة حياه القوم، وهو الحديث عن سرى الليل وتسليه النفس عن همومها بالاستماع إلى حادي القافلة وهو يرجع ألحانا متعسفة مضطربة الإيقاع، يعلن هذا الرفض لأنه وجد البديل الأقرب إلى نفسه وطبعه، والى نمط حياة عصره. وهو حديث الشراب بين الندامى المسامرين والصحب المتآلفين وتملي حسن المحبوب.» [2]

[1]-عثمان موافى، التيارات الأجنبية في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث هجري، الطبعة الثانية، دار المعارف الجامعية الإسكندرية، 2000، ص421

[2]- عز الدين إسماعيل، في الأدب العباسي الراية والفن، ص354

وكذلك «لا يكتفي بهذا الرفض، بل يعلن في صراحة أنه حرب على من يضل يردد الوقوف على الأطلال وبكائها يقول:[1]»

أيا باكي الأطلال غيرها البلى بكيت بعين لايجف لها غــرب

أتنعت دارا قد عفت وتغــيرت فإني لما ساكنت من نعتها حرب

وكما شدد اللهجة على الذين يعتبرون الطلل مصدر إلهامهم الشعري وسخر منهم «بخاصة في الدعاء لباكي لأطلال بألا يجف له دمع، وهو دعاء ينطوي على شيء غير يسير من الهزء والسخرية ومن قبيل هذه السخرية اللاذعة قوله:» [2]

قل لمن يبكي على رسم درس واقفا ما ضرّ لو كان جلـــــس

وكما نجده قد دعإلى نبذ المقدمة التقليدية «واستبدالها بأخرى خمرية فوجدنا في معظم قصائده الخمرية دعوة صريحة واضحة لهجر البكاء على الأطلال والدمن فيها وهو يقول:

لا تبك ليلى، ولا تطرب إلى هنـــد واشرب على الورد من حمراء كالورد

كأسا إذا انحدرت على حلق شاربها أبدته حمرتها في العين والخـــــدّ

[1]- عز الدين إسماعيل، في الأدب العباسي الراية والفن، ص345

[2]- المرجع نفسه، ص354

ويذهب في قصيدة أخرى يبين أن ذكر الطلل بلاغة الحمقى لذلك فعدل عنه إلى ذكر الخمر وهو يقول:

صفة الطلول بلاغة الفدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

فحارب المقدمة الطللية في معظم قصائده وذلك ليبين ما للخمر من أثر سحري يقول:[1]»

دع لـــبا كيها الديــار وأنفق بالخمر أخمارا

واشربـــــها من كميت تدع الليل نهـــــارا

ويعتبر عصر الخلافة العباسية عصر ميلاد المقدمة الخمرية و التي عرفت «انتشارا واسعا بحيث يمكننا القول أنها كادت تشكل ظاهرة فنية في بنية القصيدة المركبة وقد ساعد على انتشارها بهذا المستوى، عده عوامل أهمها: ذلك التحول الهائل في البنية الاجتماعية وفي المجال الاقتصادي والثقافي بصورة عامة. وهذه العوامل المختلفة كان لها أثرها الواضح في توظيف الخمر في مقدمات بعض القصائد المركبة ولكن برؤية متطورة، وصياغة فنية مغايرة كما شاهدناه عند شعراء السابقين في العهدين الجاهلي والأموي.» [2]

[1]–حملاوي مروه، لعور إيمان، بنية القصيدة العباسية عند الشعراء المولدين بشار بن برد وأبي نواس، أنموذج، مذكرة مكملة في نيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، 2016.2017، ص39

[2]–نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ص337

فبتعدد مشارب ثقافة أبي نواس مما «أهله إلى ذلك الدور الريادي في تطوير البنية الشعرية وشحنها بطاقات فنيه تنم على تجربة شعرية قوية تدعمها ثقافة أصيلة، فكر متوقد مبدع. ومن هنا جاء تطوير لدلالة الخمر في سياق البنائي للقصيدة العربية في العهد العباسي الأول، وكان له تأثيره في الحركة الشعرية حيث تفاعل مع اتجاهه في بناء القصيدة العربية شعراء عاصروه فشكلوا تيارا جديدا وخلفوا رصيدا شعريا غير قليل. وأهم هؤلاء الشعراء: أبو العتاهية، وأجشع السلمي، ومسلم بن الوليد، والعكوك، وأبان بن عبد الحميد اللاحقي، وابن هرمة، أبو الشمقمق، أبو دلامة....الخ.» [1]

وبهذا التفاعل والحيوية التي شاهدتها الحركة الأدبية في عصره «استطاع إن يجدد في مقدماته الخمرية، فبث فيها صورا شعرية رائعة تنم على ذوق فني رفيع ورؤية جمالية أصلية. وتخلص في مقدماته هذه عن العناصر التقليدية والصور الموروثة وكان الحياة العباسية المتحضرة أثر بارزا في شعره على مستوى الشكل والموضوع والمضمون، فلم يتشبث بالموروث الشعري في صياغته وتشكيله وبنائه من حاول أن يخلق فضاء شعري يتناسب ورؤيته للوجود، فكان له إبداعه المميز على مستوى المقدمات الخمرية التي تعد أهم عنصر من عناصرها التطور الفني في القصيدة العربية.» [2]

[1] – نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ص340.341

[2] -المرجع نفسه، ص344

وكما« شهدت هذه المقدمات انتشارا عند الشعراء العباسيين فهذا أشجع السلمي يبتدأ قصيدته الميمية في مدح الرشيد بحديثه عن الخمر فيقول:»[1]

لا عيش إلا في جنون الصبا فإن تولى فجنون المـــدام

كأس إذا ما الشيخ والى بهـا خمسا تردى برداء الظلام

ومرة أخرى العكوك عمل على «تطوير مقدمته الخمرية في القصيدة العربية المركبة وهو في قصيدته النونية في مدح حميد الطوسي يقول»:[2]

عتلاني يصفو ما في الدنان واتركا ما يقوله العاذلان

واسيقا فاجع المنية بالعيش فكلّ على الجديدين فاني

ويعتبر العكوك من الشعراء الذين نفروا وتخلوا عن نسج البداوة في شعره فيظهر لنا أنه «يساير في شعره صور الحياة الحضارية الجديدة، وينفلت وأسر الموروث الشعري التقليدي، ولم يكن الشاعر الوحيد الذي إذا اتجه صوب تطوير بنية القصيدة العربية بل كانت هناك حركة شعرية نشيطة تسير في هذا الاتجاه، يرفدها عدة شعراء في هذا العصر الذي شهد تألق القصيدة العربية، فوصلت إلى أوج الازدهار».[3]

[1]- نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ص344

[2]-المرجع نفسه، ص346

[3]–المرجع نفسه، ص347

فهذا التطور الحضاري بمختلف مظاهره له تأثير مباشر على الأدب و الشعر لتعبير عن الحياة وما فيها أحسن تعبير وتصوير «فمال الشعراء بهذا الموضوع الشعري إلى المقطعات أو القصائد القصيرة والأوزان الخفيفة والمجزوءة في أغلب الأحيان وإذا كان حديث الخمر قديما في الشعر العربي فقد كان يرد في ثنايا القصائد المركبة وحديثهم فيه قصير، لا يتجاوز الأبيات المعدودات. فإنه قد أخذ استقلاله في قصائد والمقطعات على يد الشعراء المخضرمين الذين سبق ذكرهم، وكان لأبي نواس وهو أحد شعراء الخمرة المشهورين فضل استكمال الملامح الفنية للخمرية في العصر العباسي فبلغ فيها درجة عالية من النضج الفني.» [1]

ب) على مستوى المضمون:

استخدام الصور والأخيلة الأجنبية:

وكان لملامح البيئات الأجنبية تأثير كبير «في مخيلات هؤلاء الشعراء وظهرت فيه خمرياتهم نتيجة لذلك كثيرا من الصور الأجنبية ومن الأمثلة على ذلك قول أبي نواس في وصف الخمر»:[2]

مجـــوسية قد فارقت أهل دينهـــــا لبعض النار التي عندهم تذكـــــى

إذا أصبحت أهدت إلى شمس سجدة وتسجد أخرى حين تسجد للمسرى

[1]– نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ص502–503

[2]-عثمان موافى، التيارات الأجنبية للشعر العربي من نهاية القرن الثالث هجري، ص326

وإذا تحدثنا على خمريات أبي نواس فطبعا نجده قد تفنن في تصويره للخمر وألبسها عدة صور«فهو يصور الخمر بأنها فتاة مجوسية تركت أهل دينها لكراهيتها النار التي يعبدونها مفضلة على ذلك عبادة الشمس التي تسجد لها صباحا ومساءا. والشاعر يعني بذلك أن هذه الخمر لم تنضج على النار ولكن عصير العنب ترك في العراء معرضا للشمس داخل خباءه لينضج على مهل، وقد ضاع هذا المعنى في صورة فارسية الأصل استلهمها خياله من الحياة الفارسية، التي كانت تنتشر فيها عبادة النار».[1]

ومن الصور الأجنبية أيضا قول «ابن المعتز في تصوير الصور المحفورة على جوانب الكأس:[2]»

محفرة فيها تصاوير فارس وكسرى غريق حوله خرق الجند

وكذلك تشبيه أبي نواس« التموجات التي تظهر على سطح الكأس بين حبات الحبب بألفات كاتب فارس جميل الخط يتأنق في رسمها».[3]

صفراء سلك جمان لؤلؤهـــا ألفات الكاتب سيد الفـــرس

[1]- عثمان موافى، التيارات الأجنبية للشعر العربي من نهاية القرن الثالث هجري، ص369

[2]- المرجع نفسه، ص369

[3]-المرجع نفسه، ص369

صياغة الشعر صياغة فلسفيه:

و"أبي نواس" من الشعراء الذين صالوا وجالوا ميدان الخمر في العصر العباسي وتحدث عنها أو تناولها من عدة أبعاد وجوانب «وفي حديث أبي نواس عن تأثير الخمر في شاربها تراه يغرق في التجريد، فيصور دبيب الخمر في مفاصل صحبه؛ كدبيب البرء في السقيم وأنى لنا أن ندرك ذلك. إن الشاعر يصور شعورا داخليا لا يمكن تمثله ولا يمكن أن يشعر به من كان خارج التجربة التي يعانيها أبو نواس؛ ولعله كان للبيئة الكلامية وما يدور فيها من جدل فلسفي في كثير من القضايا المجردة أثر في تكوين أبي نواس تكوين فلسفيا استغله في شعره فكان له هذا الطابع التجريدي وهو يرى في الخمر منارة تهدي التائهين فنورها مثل نور الصبح حيث يغزو جحافل الظلام. وأبو نواس لم يقنع إعادة إنتاج الصور التقليدية في وصف الخمر والحديث عن تأثيرها في النفس بل مال إلى إبداع صور جديدة ولم يقنع بأشكال التعبير القديمة بل ابتدع أشكالا تعبيرية جديدة مغايرة للموروث الشعري وما تدول فيه من صيغ جاهزة ومعان مكررة.» [1]

وإن انحلال الثقافات الأخرى العجمية في المجتمع العباسي لها نتائج ولقد «ترتب على انتشار الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني في هذا العصر وانكباب كثير من الشعراء على دراستهما، أن طبع تفكيرهم بالطابع العقلي المحض، وتأثر أسلوبهم بهما تأثيرا كبيرا.

[1]-نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ص512

فظهرت فيها الأقشية والأدلة المنطقية، ومن الأمثلة على وجود ذلك في شعر هذا العصر قول أبي تمام مخاطبا علي بن الجهم:[1]»

أعلى يا ابن لجهم إنك دفت لي سما وخمرا في الزلال البارد

لا تبعدن أبدا ولا تبعد فمـــــــا أخلاقك الخمر الربا بأباعد

وإضافة إلى بعض الشواهد الشعرية السابق ذكرها «التي نستدل منها على وجود التدليل المنطقي في شعر العصر العباسي، قول ابن المعتز في ذم الصبوح مدللا على صحة رأيه في الامتناع عن الشراب في هذا الوقت:

ويقول :

فاسمع إلى مثالب الصبـــــوح في الصيف قبل الطائر الصدوح

حين حلا النوم وطاب المضجع وانحسر الليل ولذا المهجـــــع

وقال أيضا:[2]»

وإن أردت الشرب بعد الفجر والصبح قد سل سيوف الحر

فساعة ثم تجيك الدامـغـة بنارها فلا تسوغ سائغـة

[1]-عثمان موافى، التيارات الأجنبية للشعر العربي من نهاية القرن الثالث هجري، ص366-367

[2]- المرجع نفسه، ص371-372

ويمثل العصر العباسي التغيرات والاندماجات على جميع الأصعدة على غرار الجانب الأدبي والشعري الذي عرفته القصيدة العربية تطورا في الشكل والمضمون «كما تتحلل بعض الشعراء من التزام القافية الموحدة للقصيدة؛ ومنهم أبو نواس و بشر بن المعتمر وأبو العتاهية في بعض أشعارهم بينما التزم بعض من الشعراء في هذا العصر بالأوزان الشائعة وبالقافية الموحدة الخالية من التنويع وأهم ما تميز به العصر العباسي الأول من ناحية التجديد في موسيقى القصيدة العربية وأحياء بعض الأوزان المهملة التي جاء بها الخليل بن احمد.

وقد شهدت القصيدة العربية في العصر العباسي الأول تألقا فنيا وانتشارا واسعا، فهي إلى أذواق الناس أقرب إلى مشاعرهم أنسب إلى نفوسهم وأمزجتهم أحبب ، ولقد ابتعد فيها الشعراء عن التعقيد ومالوا بها إلى سهولة و الرقة فجاءت تعبيرا حيا لطبيعة العصر».[1]

وهكذا يتبين لنا أن لطبيعة القافية في الشعر العربي عموما والشعر العباسي خصوصا «العربية دلالة موسيقية ودلالة معنوية يحددها السياق العام للنص الشعري وتكتسب القافية جماليتها من خلال علاقتها بالدلالات المتنوعة التي تشكل القصيدة وتطور القافية بصورة عامة بشكل مباشر إلى تطور بنية القصيدة بجميع عناصرها».[2]

[1]-نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ص107

[2]-المرجع نفسه، ص117

سهولة بعض الألفاظ والأساليب :

وإن لانتشار أفكارة عادات المجتمعات الغريبة عن العرب، «قد أدى بالضرورة إلى قيام لغة جديدة، تختلف كثيرا عن لغة الشعر في العصور السابقة على العصر العباسي، تلك التي كانت تمتاز بالجزالة وفحولة و قوة الجرس، أما اللغة الجديدة فتجمع بين رقة الحضارة ونعومتها، وبين المستوى العقلي والفكري للمتحدثين بها وتحمل كثيرا من خصائص الأسلوب المولد وهو أسلوب يمتاز بالرشاقة والعذوبة و وضوح المعنى و قرب الدلالة، ليس فيه إسفاف و لا ابتذال ولا توعر ولا تعقيد».[1]

سخر "أبو نواس" أعماله الأدبية في تطوير واقع الثقافة والأدب في عصره «وظهر ذلك في جوانب من شعره، وكان في كثير من الأحيان يحمل نصوصها لشعرية دلالات فلسفية واجتماعية وفنية، وهو في كل ذلك يسعى إلى تجسيد رؤيته للوجود ولم تكن القصيدة عنده مجالا للتعبير عن التجربة الشعرية فقط بل كانت مجال للبحث عن كيفية التعبير عن تجارب لذلك نجد في شعره هذا الخروج عن المألوف في الأسلوب الشعري وفي صيغ التعبير و في بناء القصيدة عامة. يقول أبو نواس في إحدى خمرياته ».[2]

يا شقيق النّفس من حكـــم نمت عن ليلى ولم أنــم

فاسقني الخمر التي اختمرت بخمار الشّيب في الرّحم

[1]-عثمان موافى، التيارات الأجنبية للشعر العربي من نهاية القرن الثالث هجري، ص353

[2]-نور الدين السد: الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ص509

ثمّت إنصات الشّباب لها بعدما جازت مدى الهرم

وهدف الشعراء المولدين الذين ثاروا على القديم هو التجديد في بنية القصيدة العربية مما يجعلها أو يؤهلها لتعبير عن الواقع بدلالات فنية جديدة «ويتضح تجديد أبي نواس في بنية القصيدة العربية من خلال عنايته بالتشكيل اللغوي والبلاغي والنحوي فهو يهدف إلى إغناء النص الشعري بدلالات جديدة فنية واجتماعية ونفسية، وتتضح ذلك عبر الخصائص الفنية التي يتمتع بها النص الشعري من مثل: التكثيف، والغموض الفني أحيانا والجمع بين المتناقضات وجميع هذه الخصائص تجسد رؤية الشاعر للوجود وتجسد فهمه لماهية الفن الشعري».[1]

[1]-نور الدين السد: الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي، ص510

الفصل الثاني

المبحث الأول: شعرية اللغة في القصيدة الخمرية النواسية

أولا: اللغة نموذج حياته ومرآة ذاته

ثانيا: الحيوية

ثالثا: العفوية والألفة

رابعا: السخرية

المبحث الأول: شعرية اللغة في القصيدة الخمرية النواسية

ارتبطت اللغة بالأدب ارتباطا وثيقا حتى اعتبرت المادة الأولية له «وهي بمثابة الألوان للتصوير أو الرخام للنحت بل لا شك أنها ألصق بموضوع الأدب من هذه المواد الأولية لموضوع فنونها، وذلك لأن الفكرة أو الإحساس لا يعتبران موجودين حتى يسكنا إلى اللفظ وكثيرا ما تكون المشقة في إخضاع الفكرة أو الإحساس للفظ، وأما قبل ذلك فلا وجود لهما على الإطلاق فكثيرا ما يكون الخلق الفني مستقرا في العبارة ذاتها، بحيث أنك لو أعدت العبير عن الفكرة أو الإحساس لانتهيت إلى شيء مغاير للخلق الفني الأول».[1]

إن التعبير الأدبي يكتسب قيمة فنية عندما تؤدي اللغة لدورها على أحسن وجه «فهو تجسيد لحالات شعورية ومواقف نفسية ولا بد لأي شعور جديد أن يعبرّ عن نفسه تعبيرا جديدا، وكل تعبير جديد له لغة مميزة، لغة خاصة، ذلك لأن أي تعبير أدبي لأي موقف نفسي مسألة انفعال وإحساس وتوتر ورؤية، ومن هنا تختلف وظيفة اللغة في الشعر عن وظيفتها في المجالات الأخرى، مجال المجتمع ومجال الفكر ومجال العلم فوظيفة اللغة في الشعر هي أن تعطي علاقات جديدة، علاقات تخرج عن الإطار المألوف المتداول في اللغة العادية أو اللغة الاجتماعية التي يتعامل بها الناس كل يوم».[2]

[1]- محمد مندور، في الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص19.

[2]-أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص203.

وبالتطور الذي شهدته الحياة الاجتماعية والعقلية للمجتمع العربي في العصر العباسي تغيرت نظرة الناس للألفاظ فصاروا يعزفون وينفرون عن الوَحْشِي منها «وقد أدرك "يوهان فك" التطور الذي حدث في لغة الشعر في القرن الثاني فقال أن الذي دعا إليه هو الانتقال من حياة البداوة إلى حضارة المدن وتغلغل غير القرب مناطق الأدب، وبهذا تراجع في ذلك العهد الطابع الوحشي للعربية القديمة بثروتها الفياضة في الألفاظ والقوالب أمام أسلوب منمق مهذب لا يسيب استواؤه وسهولته صعوبات ذات بال للأفهام».[1]

يرى الدكتور "طه حسين" أن أبا نواس كان «يريد أن ينهج بالشعر منهجا جديدا لم ينهجه المتقدمون أو قل إنهم نهجوه ولكنهم لم يشعروا بذلك ولم يتخذوه عقيدة أو مذهبا في الأدب، كان يريد أن ينهج بالشعر منهجا يشبه المنهج الذي نريد نحن وأصحابنا أن ننهجه بالكتابة، كان يريد أن يتخذه الشعر لسانا للحياة حاضرة».[2] لذلك كان يعرف كيف يولد المعاني ويستخرج دفائنها ودقائقها مقدما لها صور نادرة ومن مثل قوله:

«وَفِتْيَةٍ كنُجومِ الليـــل أَوْجُهَهُـــمْ مِنْ كلِّ أَغْيَدَ للْغَمَّـــاءِ فَرَّجِ

أَنْضاءِ كأسٍ، إذا ما الليل جَنَّهُمْ سَاقَتْهُمْ نجوها سَوْقًا بإِرْعَاجِ» [3]

[1]-محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص553.

[2]-طه حسين، حديث الأربعاء، ص94.

[3]-أبو نواس، الديوان، ص48.

وسَنَا في كتابته لأشعاره طريقًا خاصة به تختلف عن غيره «فكان يدعوا إلى تجنب سن القدماء في المعاني وفي الألفاظ جميعا كان يريد ألا يسرف المحدثون في استعارة ألفاظ القدماء، لأن لهم ألفاظهم، أي لأن لغتهم تطورت كما تطورت حياتهم أو لأن حياتهم تطورت فيجب أن تتطور اللغة لتلائم هذه الحياة».[1]

إن اللفظة عند "أبي نواس" ناضجة منتقاة نتيجة تعدد مشارب ثقافته كما حرص أن يعكس صورة العصر من خلال ألفاظه عن طريق دلالاتها فنجده في قصيدته المعنونة "شراب الصالحين" قد استعمل لغة بسيطة ورقيقة ملائمة لروح العصر لا غموض فيها:

«يا ابنة الشيخ اصْبَحينا ما الذي تنتظرينا

قد جرى في عودك الما ء، فأجري الخمر فينا

إنما نشرب منها فا على ذلك يقينا»[2]

والمتأمل في لغة أشعار الخمرة "لأبي نواس" يجدها تعتمد اعتمادا شديدا على الإطرار القديم في المديح والرثاء وما يشبههما، بينما كانت تفتك من هذا الإطار أحيانا في الغزل والخمريات، وقد تظل له قوة البناء فيهما، وتظل له روعة التصوير ودقة العاطفة، وقد يهبط وخاصة حيث يتعابث ويهزل إلى لغة العامة وإلى أسلوب ليس فيه شيء من قوة كان يعمد فيه اللحن أحيانا ولعل ذلك ما جعل بعض القدماء يقول عنه وهو قول صحيح: «إنه كان لا

[1]-طه حسين، حديث الأربعاء، ص95.

[2]-أبو نواس، الديوان، ص31.

يقوم على شعره ويقوله على السكر كثيرا، نشعره متفاوت، لذلك يوجد فيه ما هو في الثُرَايَّا جودة وحسنا وقوة وما هو في الحضيض ضعفا وركاكة».[1]

إن المتفحص لقصائد "أبي نواس" المستحدثة والتي تتناول في طياتها موضوعات الخمر يدرك أنه استطاع أن يسخر قدراته اللغوية في التعبير عن الحياة كما يراها ويعيشها «وأبو نواس واحد من الشعراء القرن الثاني الذي لاءم بين لغته الشعرية المبسطة وبين حياته اليومية في بغداد والبصرة وفي جنان الكرخ أو على حافية ساقية يتناول خمرته مع ندمائه فيحتاج إلى تبليغ وجدانهُ ورغباته إلى السهولة كما يحتاج المتلقي إلى سرعة الفهم، فهو يطلب الخمرة من نديمه بلغة تقرب من اللغة العادية لولا إقامة الوزن:

يا سليمان غنّنـــــي ومن الرّاح ما يسقينـــي

فإذا دارت الزّجاجـــة خذهَـــا وأعْطنـــــي

وأحيانا ينقل حوارا في لغة تكاد تلتئم والنثر، لا يحتاج فيها السّامع إلى إعمال الفكر والرأي».[2]

[1]-ينظر شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص164.

[2]-هند الشويّخ بن صالح، التجديد في الشعر العربي، بشار-أبو نواس-أبو العتاهية، الطبعة الأولى، دار محمد علي للنشر، صفاقس الجديدة الجمهورية التونسية، 2008، ص106-107.

أبدع الشاعر في استخدام لغة ألفاظه الشعرية «ولقد جمع أبو نواس في لغة سهلة المأخذ، قريبة الفهم أسباب عيشهُ ومتعة ووهبها وزنا يسهّل الحفظ ويرسّخه، فهو لسرعته يكاد لا يستوعب الفكرة»؛[1] ويقول في بيتين شعريين له:

أربعـــــة يحيـــــا بهـــــا قـلـــــــــبٌ وروحٌ وبـــــــــدنٌ

المـــــــاء والبستـــــان وال خمـــــرة والوجـــــه الحســــنْ

وكذلك يقول في وصف الساقية واختياره لغة غَزْلَيةَ سريعة اللّصوق بالسّمع والقلب لرفقّتها ولطفها.

من كفّ ساقية، ناهيك ساقية في حسن قدّ، وفي طرف وفي أدب

ولا غرابة ان يكون وصف الساقي بلغة رقيقة لا تختلف عن وصف الساقية، فقد أكثر "أبو نواس" من وصف الغلمان والسقاة، والتغزل بهم في اقتصاد حينا وفي مجون حينا آخر واللغة الشعرية في الحالتين قرينة المأخذ لا تعمل فيها:

من كفّ طبْي ناعِـــــــــــمٍ غنج بمقلتـــــــــه حـــــــورْ

يُسْبِي القلـــــوب بذلـــــــــة والطرف منـــــه إذا نظـــــــر

[1]- هند الشويّخ بن صالح، التجديد في الشعر العربي، بشار–أبو نواس–أبو العتاهية، ص108.

ولا نعدم في الخمريّات أصداء من الشعر القديم والألفاظ الجزلة، ولكنها تتراجع إذا ما قيست باللغة البسيطة السّائدة.[1]

وعلى هذا كان اللازم للغة الشاعر «أن تساير تجربة بكل ما فيها من أبعاد وبكل ما فيها من تناقض وغنى وتوتر ولا يمكن للغة الشاعر أن تصبح لغة فنية حقة إلا إذا استطاع أن يخرجها من إطارها المألوف، وبملأها شحنة جديدة يجتاز بها العلاقات المألوفة والدلالات الشائعة».[2]

اكتسب "أبو نواس" ناصية اللغة من «حلقات اللغويين وخاصة حلقة خلف، وهو الذي دفعه إلى حفظ مئات الأراجيز، ويقال إنه خرج إلى البادية سنة لينهل من ينابع اللغة الأصلية، ولم يختلف أبو نواس إلى حلقات اللغويين وحدهم بل اختلف أيضا إلى حلقات الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، حتى قالوا أنه بدأ حياته متكلما ثم نظم الشعر، ومرّ بنا في غير هذا الوضع كيف كان يجلب إلى شعره ألفاظ المتكلمين ومصطلحاتهم».[3]

وهذا ما أكسب لغته الخمرية الجدة والجرأة، لغة «جريئة لأنها لم تتساهل في إظهار خصوصيتها، بل أعلنت عن هذه الخصوصية في غير مُوارَبَة وأظهرت نفسها عارية بلا خجل، ولغة الخمريات جديدة لأنها لقاء بين الشكل مضى وشكل ينهض، شكل ينهض لأنه يرمز إلى حياة شاعر وشعره في الوقت معا في علاقة عضوية وطيدة وحيّة، ولم تكن هذه

[1]-ينظر، هند الشويّخ بن صالح، التجديد في الشعر العربي-بشار-أبو نواس-أبو العتاهية، ص108.

[2]-أيمن محمد زاكي العشماوي، خمرات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص203.

[3]-شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص158-159.

العلاقة متحققة قبل أبي نواس بشكلها العضوي الحي على النحو الذي ظهرت به في خمريات هذا الشاعر».[1]

إن الشاعر حين يعرض أو يتناول في أشعاره موضوع الخمر والنساء والغلمان وما يتعلق بهما فإنه يطلق لنفسه ولخياله العنان ويبدع في مثل هذه الموضوعات التي تألق وكان رائد من روادها فنجده يسخر كل طاقاته في سبيل تقديم صورة تصويرية حسنة، مستخدما في لغته أسلوبا تعبيريا يميل إلى البساطة ونجده يقول في قصيدته المعنونة "كعين الديك":

«لا يصرفنك عن قصـــف وإصبـــاء بمجموع رأي، ولا تشتيت أهـــواء

واشرب سلافا كعين الديك صافيـــة من كفّ ساقية كالرّيـــم حـــوراء

صفراء ما تركت، زرقاء، إن مزجت تسمو بحظين من حسين، ولألاء»[2]

ومن معالم نضج اللغة الشعرية لدى أبي نواس اختياره الألفاظ الملائمة للمعنى والغرض الذي يبني عليه قصيدته إذ نراه يتخير اللفظ المناسب الذي يحمل طاقة عاطفية وحسية، وكما يتميز بغزارة المادة اللغوية ونلتمس ذلك من خلال قوله:

«تعاتبني على شرب اصطباح ووصل اللّيل من فلق الصباح

وما علمـــت بأنَّـــى أريحـــيّ أحبُّ منَ النّدامى ذا ارتيـــاح»[1]

[1]-أيمن محمد زاكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص203.

[2]-أبو نواس، الديوان، ص31.

ففي هذين البيتين استطاع أن يحمل ألفاظه شحنة وعواطفه وعبقريته في إخراج اللفظ؛ وقد تتبع "أيمن زاكي العشماوي" مظاهر التطور والتجديد اللغوي في خمريات أبي نواس حيث مثلها فيما يلي:

أولا: اللغة نموذج حياته ومرآة ذاته:

هذه هي السمة الأولى للغة الخمريات، إنها تكشف عن الوجود الخاص للشاعر وتعريه تعرية كاملة بكل أمانة تؤثر الكشف عن حقيقة ذاته وطبيعة حياته على أي شيء آخر، لقد عرفنا عن أبي نواس ولعه الشديد بأن يعيش في جاذبية العصر بطل أمانة، وأن يستجيب لذاته التي هي جزء لا يتجزأ من حياته وعصره.[2]

فلغته مستمدة من وسطه الاجتماعي والثقافي وعن نظرته للحياة «وكانت لغة الشاعر في جملتها هذا المركب من الأبعاد والانفعالات والرؤى التي تجسد شخصيته وحياته في الوقت معا هذه اللغة هي التي جعلت نتاجه يمتلئ بقوة التفجير والإشعاع وخصوصا في خمرياته، حيث وصل الإلهام الشعري عنده إلى أوجه».[3]

وعلى هذا يرى العشماوي أن لغة "أبي نواس" قد حققت أهم غايات الإبداع الذي يسمو إليه كل شاعر خاصة إذا كانت أهم عناصر الإبداع تتمثل في الموهبة والأصالة والرؤية

---

[1]- أبو نواس، ديوان، ص169.

[2]-ينظر: أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص206.

[3]المرجع نفسه، ص206.

«فقد استطاعت اللغة عند شاعرنا أن تحقق غايتها حين نراها تحمل لنا في أمانة تأزم الشاعر وتوتره، وتنقل إلينا في صدق صورة الشاعر بالدرجة يصعب الفصل فيها بين سلوكه على الورق، وسلوكه في الحياة، أو قل بين الحقيقة الشعرية وحقيقته البشرية».[1]

زينت لغته الشعرية أعماله الشعرية باللفظ المنمق والعبارة المصقولة فنلمح ذلك من خلال أشعاره وخاصة قصائده الخمرية التي أظهرت طاقة إبداعية وقيمة فنية أوضح من خلالها مكانة الخمرة عنده ويعترف بأنها شقيقة روحه وشديد التعلق بها ويقول في ذلك:

«عاذلني في المدام غير نصيح لا تلمني على شقيقة روحي

لا تلمني على التـي فتنتنـــي وأرتني القبيح غيـــر قبيـح

قهوة تترك الصحيح سقيما وتعير السقيم ثوت الصحيح».[2]

ثانيا: الحيوية

ونعني بالحيوية اللغوية عند "أبي نواس" «أن تولد اللغة الحية وتبقى على الدوام، ذلك أن يولد ما حيّا في عالم الفن يبقى حيا ومحتفظا بحيويته وطزاجته، ويظل قادرا عل التوجه إلى الإنسان وعلى الإيحاء والتأثير، ومن ثم لا يفقد شبابه ولا تدركه الشيخوخة».[3]

[1]- أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص210.

[2]-أبي نواس، الديوان، ص24.

[3]-أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص210.

والحيوية في اللغة تفتح المجال للشاعر من أجل طرح أفكاره وتكسبه «التحرر من اللغة الرسمية الجامدة والثابتة، التي فيها كل طمأنينة الوظيفة وطاعيتها وانضباطها، إلى لغة حية حرة منطلقة هاربة من أمر العادة والتقاليد».[1]

ابتعد أبو نواس في لغته عن الصنعة والتكلف والتخلص من اللغة التقليدية ومن الأمثلة التي تبدوا منها انطلاقة الروح وحريتها مع رشاقة العبارة وتحررها في كل الأثقال التي نعهدها في اللغة التقليدية شديدة الصرامة والصلابة والمحملة بزخارف الصياغة وأعبائها المضنية، يقول لمن يعذله ويعاتبه على شرب الخمر:

أعاذل ما علي مثلي سبيل وعبلك في المدامة يستحيل

أعاذل لا تلمني فـي هواهـــا فإن عتابنا فيهـــا يطـول

كلانا يدّعي في الخمر علما فدعني، لا أقول ولا تقول

تمهل عند ردود "أبي نواس" كيف كانت لغته سهلة وخفيفة لا نكاد نشعر فيها من أثر الصنعة والتكلف، وكيف كانت أخاذة سريعة قاطعة تحمل روحا حرة.[2]

إن لغة أشعاره الخمرية مليئة بالحيوية ونلتمسها في شعره، لنعرض بعض النماذج الشعرية التي من خلالها نبين هذه الخصائص في لغته التي تنطق بحيوية التعبير، يقول:

[1]- أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص211.

[2]-ينظر، المرجع نفسه، ص211.

«أدرهـــا علينـــا مـــزّة بابليّـــة تخيرها الجاني على عهد قيصـــرا

عقار أبوها الماء، والكرم أمهـــا وفي كأسها تحكي الملاء المزعفرا

فما الطيش إلا أن تراني صاحيا ومـــا العيـــش إلا أن ألذّ فأسكـــرَا».[1]

فالقارئ والمتصفح للشعر الخمري لأبي نواس يكتشف أنه يفيض بحيوية التعبير وسهولة اللغة ويكتفي ان نستشهد بخمريته المشهورة والتي يفتتحها برفضه وعدم تقبله للوم الناس له ونصحه بترك الشراب ويقول:

«دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداويني بالتي كانت هي الداء

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها لو منها حجر مستـــه ســـراء».[2]

ثالثا: العفوية والألفة

يعتبر المعجم اللغوي عند "أبي نواس" ثريا وأليفا خاصة في خمرياته التي عرف بأنه زعيمها نظرا لكثرة أشعاره في هذا الغرض وقيمتها الفنية حيث تربعت على هذا الفن خصوصا وعلى الساحة الأدبية عموما في العصر العباسي؛ فلغته تتسم بالرقة وسهولة الأداء والاقتراب من لغة الحياة، يقول شوقي ضيف في هذا الصدد: «كان له حس دقيق وذوق مرهق، يعرف عن طريقهما كيف يختار أرق الألفاظ وأرشقها وأخفها في النطق، وأحلاها في

[1]-أبو نواس، الديون، ص101.

[2]- المصدر نفسه، ص11.

السمع وكان يدنو في ذلك حتى يمس شفاف القلوب إذ كان يسحن اختيار أسهل الألفاظ وأيسرها وأقربها إلى ما يجري على ألسنة الناس في حياتهم اليومية من أجل ذلك كان يتجافى عن ألفاظ القدماء».[1]

ولنمثل بمجموعة من الأبيات التي تبين فيها ظاهرة التخفيف من أثقال اللغة القديمة والتأكيد على أن لغته لغة ذاتية تعبر عن نفسيته وهمومه وواكبت روح العصر بكل مظاهره دون نسيان أنها كانت تتصل بحياته الخاصة اللاهية والماجنة؛ وعبرت عن دنياه الفريدة خاصة حينما نجده يتناول موضوعا خاصا بالخمر ويقول:

«اسقني والليــل داج قبل أصوات الدجاج

اسقني صهباء صرفا لــم تدنــس بمـــزاج

نحلب الراح صُرَاحًــا في أباريق الزجــاج»[2]

من خلال هذه الأبيات نرى أن أبا نواس كان شاعرا مدمنا على الخمر بأتم معنى الكلمة فهي همه الوحيد في هذه الدنيا يُصَبِح بها ويسهر عليها ولا يبالي بما يحيط به من انتقادات وكلام على حالته هذه ونمط عيشه، نتيجة لذلك التطور الحضاري الذي مس المجتمع العباسي في أوج ازدهاره.

[1]-شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، ص229.

[2]-أبو نواس، الديوان، ص58.

رابعا: السخرية

تعد السخرية من أهم السمات التي تتضمنها لغة أبي نواس وتتجلى أكثر في الأشعار التي نظمها في موضوع الخمر وهي سمة تنتشر وزين بها الكثر من عباراته ومواقفه فهي «ظاهرة نفسية وفنية في ذات الوقت بالرغم من أنها تصدر عن عوامل نفسية قد تكشف عن طبيعة خاصة تتعاون على تكوينها جملة من العوامل النفسية التي غالبا ما تكون نتيجة لصراع داخلي بين قوتين ومعظمها صدام بين عالم الشاعر الداخلي وبين مواقف خارجية يرفضها».[1]

ونلتمس بعض أساليب السخرية في لغة أبي نواس من خلال الشعر الذي تحدث فيه عن الخمر وتتطرق في الكثير من القصائد إلى هذه السمة، ويقول في ذلك ساخرا من حياة العرب وتعلقهم بالأطلال:

«أعر شعرك الأطلال والدّمن من القفرا فقد طال ما أزرى به نعتك الخمرا

دعاني إلى نعـت الطلّـــول مسلّـــط تضيق ذراعي أن أجوز لـه أمـــرا».[2]

فإذا دققنا النظر في سخرية "أبي نواس" نجده بالغ فيها فكانت «سخرية لا هوادة فيها تكشف في غير رحمة عن عمق حمق الشعراء وجهلهم وترميهم أحيانا بالغفلة والغباء فيما

[1]-أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص224.

[2]-أبو نواس، الديوان، ص21.

يشبه الهجاء الحاد، وهو يصرح بذلك تصريحا ظاهرا حتى لكأنه قد نذب نفسه لحرب هؤلاء».[1]

ويقول في هذا الصدد:

«أيا باكي الأطلال غيّرها البلـــى بكيت بعين لا يجف لهـــــا غـــربُ

أتنمت دارا قد عـفت، وتغيّـــرت فإني لها سالمت من نعتهـــا حـــرب

وندمان صدق، باكر الراح سحرةٍ فأضحى، وما منه اللسان ولا القلب».[2]

ولم يتوان "أبو نواس" من خلال إيمانه بوظيفة الشعر من السخرية على شعراء عصره اللذين مازالوا يعيشون في البادية ويتمسكون بها وبنمطها في العيش حيث مازالوا هؤلاء الشعراء يتحدثون في أشعارهم على الأطلال ويتباهون بماضيهم ويتغنون بالبادية رغم بعد المسافة الزمانية والمكانية التي تفصلهم عن القدماء وحياتهم وعلى الرغم من تغير صورة الحياة وشكل المجتمع ونظام حياته.[3]

سخر الشاعر كغيره من الشعوبيين من حياة العرب وسبل عيشهم وحياتهم في البادية مستخدما في ذلك أسلوبا راقيا معبرا به عن سخريته اللاذعة ويدعوهم لترك البكاء على الأطلال ويقول:

---

[1]- أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص229.

[2]-أبو نواس، الديوان ص10.

[3]-ينظر، أحلام الزعيم، أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد، ص119.

«أترك الأطلال لا تعبأ بهـــا إنهـــا من كـــل بؤس دانيـــة

واشرب الخمر، على تحريمها إنمـــــا دنيـــاك دار فانيـــة

من عقار، من رآها قال لـــي صيدت الشمس لنا في باطية».[1]

هذه بعض أساليب السخرية في لغة أبي نواس وفي شعره الخمري خاصة وهي نماذج قليلة من كثيرة يمتلئ بها ديوانه ولا تكاد تخلوا قصيدة من روح السخرية هذه، والتي يمكننا أن نلخص ما انتهت إليه في جانبين هامين الأول: أنها لم تقف عند حدود ما يجري في مجتمعه من ظواهر يرفضها ولا يرضها أو في نظام القصيدة والوقوف على الأطلال؛ والثاني: أن أسلوب السخرية لم يكن وسيلة للبثّ والتفتيش عن النفس وتحقيق نوع من الشقا لها.[2]

المبحث الثاني: شعرية الصورة في القصيدة الخمرية النواسية

تتصل الصورة الشعرية في الحقل الأدبي بكيفيات التعبير لا بماهيته وهي «تهدف إلى تحويل غير المرئي من المعاني إلى المحسوس، وتعويم الغائب إلى ضرب من الحضور ولكن بما يثير "الاختلاف" ويستدعي "التأويل" بقرينة أول دليل، الأمر الذي يغذي المعنى الأدبي بقراءته المخصوصة لدي المتلقي، إذ تنحرف الألفاظ في التشكيل الصوري عن

[1]-أبو نواس، الديوان، ص119.

[2] - ينظر، أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، 232-233.

دلالاتها المعجمية إلى دلالات خطابية حافة وجديدة، ومن ثم يمنح النص هويته التي تتجدد دائما، مع كل قراءة»[1].

عرفت الصورة في الأدب بالصوغ اللساني المخصوص والذي بواسطته يجرى تمثيل المعاني، تمثيلا جديدا ومبتكرا، بما يحيلها إلى صورة مرئية معبرة، وذلك الصوغ المتميز والمتفرد، هو في حقيقة الأمر عدول عن صيغ إحالية من القول إلى صيغ إيحائية تأخذ مدياتها التعبيرية في تضاعيف الخطاب الأدبي[2].

جدد شعراء العصر العباسي في صورهم خاصة بعد تطور حياة الناس وعيشهم في ترف وبذخ، فقد بدلوا فيها وجددوا «وقد مثل أبو نواس هذا التجديد في الصور خير تمثيل وحظيت الخمرة بالنصيب الأوفر من الصور الشعرية وقد اشتقها من مجالات عدة، مثل تشخيصه عروسا يعشقها فيسوق مهرها لوالدها ونجده في صورة أخرى يشخص خمرته فيجعلها عروسا تخشى الزواج وتتهيبه، ويستقصي أبو نواس هذه الصورة فيجعل العروس تتخير زوجها من أشرف الناس مترفعة عن الأرذال فينطقها قائلا» [3]

[1]–بشرى موسى صلاح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، لبنان، 1994، ص 3

[2]– ينظر المرجع نفسه، ص 3

[3]–ينظر هند الشويخ بن صالح، التجديد في الشعر العربي بشار_أبو نواس_أبو العتاهية، ص 104

لا تمكثني من العربيد يشرُبنـــي ولا اللّئيم الذي شمني قطبـــا

ولا المجوس، فإن النار دينهـم ولا اليهود، ولا من يعبُد الصُّلبا

ولا الأراذل، إلّا مــن يورقنـــي من السُّقاة، لكن استقني العربا

لم يكتف "أبو نواس" بشرب الخمرة ومعاقرتها بل عمد «إلى ابتداع الصور الجديدة المبتكرة التي تتناول وصف فعل الخمرة وتأثيرها في نفوس شاربيها، وهي صورة لا تكتفي بمجرد العلاقة بين أجزاء الصور وأركان التشبيه على نحو ما نراه، شائعا في شعر الخمرة قبل أبي نواس إنما هي صور تتداخل فيها المرئيات والمسموعات والمشمومات مع عالم الداخل بما فيه من أوهام وخيال وتداعيات وخلط ولا منطقية، أي أنها سور يمزج فيها الحس باللاحس والمادي بالمعنوي» [1].

والمتفحص لأشعاره الخمرية يجد «أثر الصنعة ظاهرة فيه ظهورا بينا وخاصة في خمرياته التي تعتمد في وصفها على تشخيص الخمر وبعث الحياة فيه ومناجاته، كما يجعلها عذراء ويزوجها للماء وهو يصور نفورها من هذا اللقاء ويصور في أبيات أخرى خطبته لها عند دهقاتها وبذله مهرا غاليا في سبيل الحصول عليها إلى غير ذلك مما صورناه في حديثنا عن الخمريات، وقد بلغ أبو نواس الغاية في تصوير قدم الخمر تصويرا تظهر فيه آثار

[1]–أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص 116

الثقافة الجديدة التي شاعت في عصره وآثار الحضارة التي أفسحت جوانب حياتهم»[1] فهو يقول مثلا:

عمُرتْ يُكاتِمك الزمان حديثها حتى إذا بلغ السآمة باحا

فأتتك في صور تداخلها البلى فأزالهن وأثبت الأشباحا

وكذلك ذهب به الأمر إلى ابتكار صور واصفا فيها السرور الذي يعم مجالس الشراب والخمرة، يقول:

في مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلّت الخمر

فكأنه جسّم معنى السرور وجعله إنسانا يقهقه حتى يظهر ناجداه خليا منه هموم الحياة طليقا إلا من إسار الخمر[2].

إن القارئ لخمريات أبي نواس يجد شعره غني بالتصوير حيث أكثر من الاعتماد عليه ولا تخلو قصائده منه، وكما تعد الصورة عنده وسيلة حية في تجسيد تجربة وبلوغ أهدافه التي يسعى إليها وأهمها كما عرفنا هو تحقيق وجوده الذاتي الذي يؤثر أن يكون بارزا في عمله الفني[3].

[1]–محمد مصطفى هدارة، إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني للهجرة، ص 584

[2]– المرجع نفسه، ص 58

[3]–ينظر أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص 246

كانت معظم صوره تعتمد «على التجسيم والتوضيح، والاهتمام بأصغر الجزئيات والتوسع في إدراك العلاقة بين الأشياء ومحاولة صيغ الصورة بحالة النفس حتى لتبدو كلوحة الفنان الحاذق كاملة الأصباغ والألوان، محكمة الخطوط والأضواء[1]»

تعددت وتنوعت الصور الخمرية في شعر "أبي نواس" وسنحاول أن نعرض بعضا منها فيما يلي:

1/صور ذات طابع اجتماعي

يستلهم "أبو نواس" صورة الخمرة من الحياة الأسرية فتبدو فيها العائلة قد تتألف من الأب والأم والبنت وذلك يتجلى واضحا في هذا المقطع الشعري:

أما يسُرُّك أن الأرض زهــراء والخمر ممكنة شمطاء غدراء

ما في قعودك غدر من معتقة كالليل والدها والأمّ خضـــراء

إن هذه الصورة ذات الطابع الاجتماعي ليست سوى وجه واحد من عدة صور اتخذها من عدة مجالات ومقامات، وإضافة إلى أن أبي نواس راح يملئ تلك القوالب التقليدية الخمرية بالعديدة من الصور الخمرية[2].

[1] –محمد مصطفى هدارة، إتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني للهجرة، ص 585

[2] –ينظر هند الشويخ بن صالح، التجديد في الشعر العربي بشار_أبو نواس_أبو العتاهية، ص 105

وأيضا نجد أبا نواس قد أعطى للخمرة أبعادا عديدة على غرار البعد الاجتماعي فهو بخمرته الفنية هذه يكشف عن نفاق المجتمع ويكشف عن حقيقته ووجه المزيف فهناك من يتساءل عن الخمر خفية وسرا خوفا من انتقادات الناس له وهذا ما يرى "أبو نواس" أو يعتبره نفاقا وهو يقبل على الخمر علانية وجهرا فيقول:

«ألا فسقني خمرا، وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا إذ أمكن الجهر

فما الغبن إلّا أن تراني صاحيا وما الغنم إلا أن يُتعتعني السكر

فبح باسم من تهوى، ودعني من الكُني فلا خير في اللذات من دونها يستر[1] »

ويقول أيضا في قصيدة له:

«هذه الخمر... جهارا فشربناها ولا سرارا

لا كمنْ يكْنى عن الأم ر إذا ما خاف عارا »[2]

2/الصورة ذات الثقافة الدينية

يتخيل "أبو نواس" في خمرته صورا يعبر بها عن قدمها وجودتها وعراقتها، فيجعل العنكبوت قد نسج بيته على فم الخابية، أو يجعل النبي "نوح" قد حفظ الكرمة من الطوفان ليعيد زرعها ويدخرها إلى الأجيال اللاحقة فيقول في شعره:

[1]–أبو نواس، الديوان، ص28

[2]–المصدر نفسه، ص 122

كانت على عهد نوح في سفينة من حرّ شحنتها والأرض طوفان

فنجده قد قدس الخمرة وقدم لها صور فهي معبودة ويسبح بحمدها ويترفع بها عن الأسماء وهذا البيت الشعري يبين ذلك:

لا تُسمِّ المدام إن لُمْت فيها فتسكن إسمها المليخ بفيكا[1]

3/الصورة الفنية

ومن الصور الفنية للخمر في شعر "أبي نواس" تلك الصور التي تصور الألوان الخمرية يقول في ذلك:

« قاتم اللون ولا خصيفا ولا إلى سائسه مأوفا[2]»

ظهر ولع "أبو نواس" بالألوان في قصائده الخمرية في الصور التي يضمن بها شعره والتي تبرز مدى تعلقه بكل صغيرة وكبيرة فيما يخص الخمر ووصفها وجعلها في أبهى صورة وحلة، وإن دل هذا على شيء فإنه سيدل على قوة وعمق خيال هذا الشاعر وجعله من الأضواء والظلال ركن من أركان تصويره للخمرة خاصة عندما تلتقي وتفترق وتشف وترن وتلطف لطف النور فيقول:

»

[1]–ينظر هند الشويخ بن صالح، التجديد في الشعر العربي بشار_أبو نواس_أبو العتاهية، ص 105

[2]–أبو نواس، الديوان، ص 230

صفرا تحكي النبر، في حافاتها عقد الحباب كلؤلؤ متبدّد

لما أخذ نابها صهباء صافية كأنها البدر وسط الكأس تتقيد

أخذت من كل شيء لونها فهي في ناجودها قوس قزح[1]»

4/الصورة المعنوية

وقد يتخير صورة معنوية غير محسوسة فيجمع فيها المقابلات حتى لم تعد كذلك لبعد التخييل فيها، يقول في بيت شعري:

قهوة تترك الصحيح سقيما وتعير السقيم ثوب الصحيح

وكثيرا ما يقدم صورة معنوية يرسم فيها فعل الخمرة في شاربها مع مزج طريف بين المعنوي والحسّي وهي ميزة الصورة الشعرية، يقول في ذلك:

صفراء لا تزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء

كما صور أيضا مفعول الخمرة وما تفعله بشاربه وتأثيرها عليه وهي خمرة لها دبيب في المخ وهي بداية أعراضها في مدمنها وشاربها ويقول في هذا الصدد في قصيدته ليلة وخمر ...

[1] نجيب محمد البهبيتي، تاريخ الشعر العربي حتى القرن الثالث الهجري، ص 439

يسقون من قهوة معتقمة لها دبيب في المخ يستبق

أعطوا بهاربها حكومته بيضا كمثل السيوف تبرق

صفوة القول أن الصورة الشعرية عند "أبي نواس" بسيطة في عمقها خيالية في واقعيتها فتأخذ بالفكرة الواحدة لتنميها وتغوص في أغوارها حتى تذهب بها بعيدا مع سهولة المأخذ[1] والملاحظ أن خمريات "أبي نواس" تكتظ بالصور الشعرية كما رأينا سابقا والتي لعبت دورا هاما في إبداعه الفني وفي هذا الموضوع الشعري، حيث استطاع أن يصور علاقة الخمرة بشاربها، وكيف أنها تتحكم فيه وفي سلوكه بعدما كانت الغلبة له في بداية الأمر قبل أن يشربها حيث يقول في هذا الشأن:

«يا ليلة بتّها أُساقيها ألهجني طيبها بذكراها

نأخذها تارة وتأخذنـــا موتورة نقتضي ونبداها

نغلبها أولا ثم تغلبنـــا فنحن فرسانها وصرعاها [2] »

5-الصورة الرمزية:

نَوَع "أبو نواس" في استخدام الرمز في صوره الشعرية خاصة الخمرية منها« وإذا ما تعمقنا في ظاهرة الرمز في شعر "أبي نواس" وما كانت تشغله من حيز في تجديده الشعري

[1] -ينظر هند الشويخ بن صالح، التجديد في الشعر العربي بشار_أبو نواس_أبو العتاهية،ص 106

[2] -أبو نواس، الديوان ص573

نرى أن أبا نواس قد استخدم الرمز استخدامًا ذكيًا في التعبير عن جميع مواقفه سواء ما كان منها في السياسة أو الدين أو الأخلاق السائدة[1]». ولذا نجده قد أبدع في صوره الرمزية والفنيّة .

إن تجربة "أبي نواس" الفنيّة بما فيها من طاقات خلاّقة قد تمّتْ في مناخٍ من الرمز حيث يبدو العالم والطبيعة مجتمعًا أخر تتحقق فيه بقوة الشعر أحلام الشاعر ولقاءاته مع نفسه ...شعر أبي نواس اكتشاف للأشياء والنظائر بين الإنسان وصفاته والعالم وصفاته... والطبيعة في شعر النواسي غير موجودة بحد ذاتها[2]

ولنستمع إليه أبي كيف يتوصل إلى الجد من خلال الهزل وكيف يداري موقفه من خلال رمزه إلى معشوقةُ المقدس الذي تهيم روحه به، والذي يخلص له الود، ولنتأمل بعد ذلك كيف يعبر عن حبه الأسمى له ونلتمس ذلك من خلال قوله:

«الشُّرْبُ في ظُلّة خمّـــارِ عندي من اللّذات يا جَارى

لا سيّمَا عنــد يَهُودِيـــــةٍ حَوْراءَ، مثل القمر الشّارِى

تَسْقِيك من كفٍ لها رطْبةٍ كأنّها فلقـــة جُمّـــار»[3]

[1]– احلام الزعيم، أبو نواس بين العبث والإغتراب والتمرد، ص220.

[2]المرجع نفسه، ص 147

[3]– أبي نواس، الديوان، ص54.

إن همه الوحيد في حياته هو الشرب والتمتع بالدنيا والانصراف هن البداوة فنجده يرمز لها بأحسن الصور والرموز.

و لم يكتف بشربها وقدم لها أحسن الصور «وأحاطها بألطف التشابيه والاستعارات ,ووصف معها الكؤوس والنديم والساقي والخمار ومجلس لهوه، وقص أخباره الفاحشة لا متكتما ولا مستحييا، فهو صريح يؤثر المهاجرة، ويكره التستر، ويود لو يستوعب اللذة من جميع نواحيها ويقول:

ألا فسقيني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا إن أمكن الجهر[1]

اكتسب أبو نواس مكانة في أواسط الشعراء العامة حتى عد إماما في الخمر والغزل بالمذكر «إمامة تجعل الحديث عنه حديثا عنهما فإنه قد تخلف في المجون تخلفا شديدا رغم ادعائه أو طموحه إلى السبق فيه، ولعل السبب في ذلك أنه كان يمزج مجونه بالغزل المنحرف وذلك وان خف على أسماع بعض الناس، فإنه ثقيل بغيض إلى الطبائع السلمية وإن شئت فاسمع إليه يماجن متحدثا عن غلام.[2]»

وغزال زان بالـــــقا من ردفا بربريا

قاده إبليس طوعا بعد ما كان عصيا

فاستقيناه على المـــور د شرابا ذهبيا

[1]-بطرس البستاني، أدباء العرب في الأعصر العباسية ص64-65.

[2]– محمد عبد العزيز الكفراوي، الشعر العربي بين الجمود وتطور، ص117

الخصائص الجديدة في صور الخمر عند أبي نواس:

أولاً: الحركة:

إن المقصود بالحركة «ألا يكون الشاعر سلبيًا أمّا الأشياء التي يصدرها أو العناصر التي يختارُها لأداء صوره، فمن الشعراء من يرسمون صورهم في هدوء يصل أحيانًا إلى حدود البرودة، ويكون التصوير مجرد تسجيل لمدركات الحس خارج نطاق الشاعر، فتظل الموضوعات التي يصورها الشاعر ثابتة ساكنة لا انفعال فيها ولا روح وتكون صورهم حتى ولو كانت نقلا لموقف حتى أشبه بزجاجات فارغة» [1].

ساعدت طبيعة "أبا نواس" في تحقيق عنصر الحركة في رصد صوره الشعرية مفعمًا بالطاقة والحيوية، قلقًا دائب الحركة، ومن كان هذا شأنه لا يستطيع أن يصدر في فنه عن صور ذات أبعاد ساكنة وأكثر ما ترى هذه الحركة في صور الخمر وتأثيرها، وفي تصوير شاربها وندمانها، وقد مرّ بنا من هذه الصور الكثير، ولكننا هنا سوف نقف عند بعض النماذج التي توّضح ما ذهبنا إليه من خصوصية في صور أبي نواس عرفت بها خمرياته بصفة خاصة، ولنأخذ على سبيل المثال هذه الصور التي تبدو جديدة في مبناها وتكوينها.

وليل لنا قد جاز في طوله القدرا كَشفنا له عن وَجه قينتنا الحِذرا

فولّى بُرعبِ قبل وقت انتصَافيه كأنّ ألَحْنَ عند ذاك له الفَجْرَا

[1]-أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص 247-248.

في هذه الأبيات تمثل هذا النوع الذي يمثل صورة متكاملة تشمل على لحظة شعورية يجسدها الشاعر، ويصدر فيها عن انفعاله الصاخب وهي تمتاز بما فيها من حركة انفعالية قوية[1].

ومن أمثلة الصورة التي تشعر بحَيويَة وحركة وتَدفق لا نظير له حيث مزج فيها الواقع بالخيَال، بدرجة رائعة، ما جاء في قصيدته المشهورة التي يقول فيها:

لا تبك ليلى، ولا تطرب هنـــــــد واشرب على الورد من حمراء كالورد

كأسًا إذا انحَدَرت في خلق شارِبها أجْرَاتْهُ حمرتهَا في العين والخـــــدّ

فهذه القصيدة تحمل حيوية الحركة والإيقاع اللذين يتحققان معًا في تَلازُم وتَلاؤم، كما تعتمد على الخيال البرقي[2].

ثانيا: الدرامية:

وهي ظاهرة واضحة في صور الشاعر تظهر أكثر ما تكون في تجسيد الحدث وتشخيصه، عن طريق إثارة عنصر المفاجأة من خلال ما يجرى على ألسنة الشخصيات التي يطرحها في صوره، وما يكون بين الشخصيات من أفعال التي يحسن الشاعر تصويرها كاشفًا عن حركتها الخارجية والداخلية التي تتراءى فيما يدور من فعل خارجي، وما يظهر

[1] – ينظر، أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلة في المضمون والشكل، ص 250.

[2] – ينظر، المرجع نفسه، ص 251.

في أثناء ذلك من انفعالات داخلية، وما يجسد الحوار من هذا كله[1]. وتظهر الحركة الدرامية في صورته الشعرية كثيرًا خاصة في وصف الندمان الذي شرب حتى سكر:

«تراهُ بما ساء النّدامى ابن عَلَّــةِ وللشيء لذُّوه رضيعَ لِبـــــاهِ

وإذا هو كفّى الكأسَ يمناهُ خانها أما ويتُ منها وارتعاش بنان»[2]

ثالثا: الخيال البرقي:

الخيال البرقي والذي نعنى به الإشعاعات الضوئية السريعة الخاطفة التي تتلاحق متوجهة معبرة عن انفعالات الشاعر وهو في أعلى درجات نشوته وانسجامه، وتجدر الإشارة إلى أن أبا نواس كان من الشعراء القلائل الذين استطاعت صورهم أن تحقق رؤية واحدة داخل القصيدة، فكثير من مقتطفاته ومن قصائده التي تحكي موقفًا واحدًا، وتروي قصص مغامراته الليلة، استطاعت أن تحقق وحدة شعورية داخل بناء عضوي منسجم، وهذه الظاهرة تحسب لشاعرنا عند تقويم بناء قصائده وبخاصة في الخمريات[3].

[1]– ينظر، أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلة في المضمون والشكل، ص 252.

[2] – أبو نواس، الديوان، ص 262.

[3]- أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص 251–252.

ولنستمع إليه في أبيات يصور فيها حيوية الحركة، إضافة إلى اعتماده على الخيال البرقي، ونلمس ذلك من خلال قوله:

«فالخَمْرُ ياقُوتَةٌ والكأْسُ لُؤْلُــؤة من كفً جاريُ مشْوقـــــــةِ القــدِّ

تَسْقيكَ منْ عَيْنها خمرًا ومن يدها خمرًا فمالك من سُكْرَين مِـــن يُـــدِّ

لِي نشْوَتانِ، وللنّدْمَانِ واحـــــدِة شيءٌ خصصت بِهِ من بيْنهِمْ وحْدِي»[1]

فنجده قد جمع بين الحركة والخيال البرقي واللعب بالألوان والتأثير بحاستي البصر والتذوق حتى لكأنك تسمع بأذنيك ما تراه بعينيك من جلجلة الانتشاء وضَخمه. هذه حركات سريعة غير متزايدة الإيقاع والعنف، نرى فيها مُفعمة باللون، ناضجة بالضوء، فجمعت بين معظم عناصر الصورة عند شاعرنا[2].

ونذكر صورة أخرى جسد فيها هذا الفعل الدرامي بكل خلجاته وسكناته، بحركته الخارجية وانفعالاته الداخلية قد بلغت درجة عالية من الإتقان في التصور من تحديد ملامح الصورة بما فيها من حدث أعطانا الشاعر تفاصيلهُ، وينقله إليك بكل دقة حتى لكأنك ترى مشهدًا طبيعيًا لرجل أفقدَه الشراب وعيه، وذلك من خلال قوله:

[1]–أبو نواس، الديوان، ص 149.

[2]ينظر، أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص251.

إذا ارْتَعَشَتْ يُمنَاهُ بالكأسِ رقصْتْ به ساعةً حتى جاء مُخْتَبِطًا يَحْبُو[1]

نخلص من دراسة الصورة في خمريات "أبي نواس" إلى الحقائق الآتية كما يعرضها الدكتور" أيمن محمد زكي العشماوي":

أوّلا: الصورة عند الصورة جزء من لّغة الشاعر جزء لا يتجزأ تحمل ما تحمله اللّغة من صورة الشاعر وحياته.

ثانيًا: تجددت الصورة عند الشاعر كما تجددت لُغتهُ مخلفة في ورائها البطء الشيء الذي سادَ روح العصور السابقة.

ثالثًا: حققت الصور جدة وطارفة وتفتحًا وحرية، وعبرت في رموز حية عن مواقف الشاعر بشكل لا يأخذ بتلابيب الفنان.

رابعًا: جمعت الصور بين درامية التعبير والتأثير باللون والضوء، فأضاف الشاعر إلى وسائل التعبير المألوفة مؤثرات أخرى غير المؤثرات البصرية مثل: اللمسية، الشّمية، والصوتية.

خامسًا: استطاعت صور الشاعر أن تتضافر في بناء الرؤية وتطورها داخل القصيدة حتى لتكاد تُحقق ما يسمى بالكيان العضوي الواحد[2].

[1]- ينظر أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص253.

[2]- المرجع نفسه، ص 256

المبحث الثالث شعرية الموسيقى في القصيدة الخمرية النواسية:

المراد بالموسيقى الشعرية كل ما يصدر عن لغة الشعر من إيقاع، وما ينشأ من علاقات صوتية داخلية وما يصدر عن الوزن الشعري من إيقاعات منتظمة تتردد على مسافات زمنية واحدة والتي تسمى بالقالب الذي يعتمد عليه الشاعر في قصيدته. [1]

إن التطور الذي طرأ على القصيدة الخمرية على صعيد المعنى واللغة والصورة وما رأينه من تجديد واضح سعى شعراء القرن الثاني الهجري لتحقيقه على هذه المستويات ومن أجل جعل من القصيدة قول شعري يساير مقتضيات الأمر، فإن فكرة التجديد هذه لم تقتصر فقط على ما سبق ذكره بل مست حتى الموسيقى الشعرية وأوزانها وحتى الإيقاع وهذا ما يتجلى«في شعر المولدين في القرن الثاني الهجري، فقد انصرف أبو نواس في كثير من قصائده عن الأوزان الطويلة المعقدة وأقبل على الأوزان الخفيفة أو المجزوءة لأنها تلاءم الجوّ الاحتفالي في المجالس الخمّرية، وقد تكون القصيدة بنت ساعتها اقتضتها حالة وجدانية عاشها الشاعر في بعض المجالس، وتجتمع الأوزان القصيرة أو المجزوءة باللغة السّهلة كما في وصف أبي نواس لهذا المدلس اللّاهي، الذي توجه بالغناء مضمنا الصّوت الذي تغنّى به الساقي»[2] ويقول:

---

[1]- ينظر، أيمن محمد زاكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص256-257.

[2]-هند الشويخ بن صالح، التجديد في الشعر العربي، بشار، أبو نواس، أبو العتاهية، ص108.

واخترت إخوة صدق من خير هذي العباد

شريف ابن شريف جواد ابن جواد

فقلت لذّوا بنفسي أفديكم وفؤادي

واللهو نهارا و ليلا إلى نداء المنادي

عبّرت هذه الأبيات بجلاء عن روح ونفس جديد بثّ في الشعر يجمع بين الوزن الخفيف والقالب اللغوي السهل ملائمة لحياة العصر وتعبيرا عن تيار وتوجه فكري منغمس في اللذات

والمتع والترف في الحياة إضافة لنغم الموسيقي الذي أحدثه التكرار في البيت الثاني

إلا أن تلك الثورة التجديدية على الموسيقى الشعرية القديمة والموروثة لم تكن عارمة جازفة كالتي كانت على الشكل مثلا بل كانت رفيقة ليّنة إذ اقتصرت في الغالب على الأوزان تارة على القوافي تارة وحينا أخر دون غيرها من عناصر الموسيقى، ولعل التغيرات الطفيفة التي مست الموسيقى الشعرية من وزن وإيقاع في تلك الفترة وفي هذا الموضوع الشعري راجع إلى انتشار فن الغناء في البيئة العباسية، وشيوعه على يد أيدي أخرى على غرار الفرس والروم فإذا هذا التطور الحضاري كان كفيلا «أن يترك أثرا ولو ضئيلا في أوزان الشعر وقوافيه أو في شكله الموسيقي بصفة عامة، والحقيقة إن شيوع الغناء في القرن الثاني واهتمام الطبقات المختلفة فيه وإقبالها عليه مما جعله فنا شعبيا عاما، وقد أثّر على

شر هذا القرن تأثيرا واضحا بدا في انصراف الشعراء عن الأوزان الطويلة و المعقدة حتى في أكثر فنون الشعر وإقبالهم على الأوزان الرشيقة التي تلاؤم الغناء في المجالس والمنتديات ودور اللهو والرقص».[1]

والمتأمل في موسيقى خمريات أبي نواس باعتبارها مجموعة شعرية ضخّ كل إمكانياته الفنية فيها تتضح له جملة من مظاهر متميزة، ومن خلالها يمكن لنا تقسيمها إلى قسمين

أولا الموسيقى الخارجية

وهي التي تتمثل في الإيقاع العام للقصيدة، والمشكل من الوزن والقافية والروي والإيقاع وهي العناصر الأساسية في بناء القصيدة

1-الإيقاع والقافية

فنجد أن لكل من الإيقاع والقافية دور لا يستهان بها في التشكيل الموسيقي لدى الشعراء داخل القصيدة، فبتالي تكون من أبرز العناصر التي تستجيب لتجديد من أجل خلق شعر يراعى فيه مسايرة روح العصر، ومن وجوه التجديد أو الجوانب الأخرى التي عرفت جديدا في خمريات "أبي نواس" وخاصة في الإيقاع فقد اعتمد على «قواف داخلية متحدة في البيت الواحد، تضاف إلى القافية التقليدية التي تشمل كامل القصيدة وظاهرة التسميط هذه وجدت حتى في الشعر الجاهلي، لكن تواترها عند المولدين توازى مع الألحان والغناء وقد

[1]-محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص536.

اعتمد "أبو نواس" هذه الظاهرة الإيقاعية التي تقسم البيت الواحد إلى أربعة مقاطع تقوم على قافية واحدة».[1] قائلا

«سلاف دنّ، كدمع جفـــن كخمر عدن،كماء مـــــــتزن

و منه

طربت إلى قطربّل، فأتيتها بألف من البيض الجياد وعين

ومنه

لا تبك للطاغيين والظّعن ولا تقف بالمطيّ في الدّمن[2]»

انطلاقا من هذه الأبيات نجد الشاعر يستحدث أنواعا جديدة من الموسيقى الشعرية في إطار الأوزان القديمة خصوصا بمقتضيات الغناء وتأثيره العميق في الأوزان والقافية على السواء في تلك الفترة.

وعلى هذا أقبل العديد من الشعراء يرصدون قوافيهم ويرشحون لها على صور وهيئات مختلفة ولعل في هذا ما يلفتنا إلى أن الترشيح والأرصاد وغيرهما من ألوان البديع الصوتية الذي ترتبط بقوافي الشعر، إنما نشأت تابعة لهذه العناية التي كلف بها الشعراء، إذ كانوا

[1]-هند الشويخ بن صالح، التجديدي في الشهر العربي، بشار، أبو نواس، أبو العتاهية، ص109.

[2]-أبو نواس، الديوان، ص157-158.

يلاءمون ملازمة شديدة بين اللفظ والغناء، وما يزالون بشعرهم حتى يحيلوه أنغاما وأرقاما موسيقية [1]

تمكن "أبو نواس" من القافية وأحسن توظيفها في شعره كما اعتبرها جزء مهم في التشكيل الموسيقي، واتخذها سبيلا للإعلاء من قيمة الموسيقى الشعرية وكانت من أبرز سمات القيود الشعرية خفاء وحسنا، فتمكنه من القافية تكاد تكون أكبر وأظهر من تمكنه على النظم والصياغة، وقد بيّن وبرهن إمكانيته والقدرة التي يتمتع بها في إخفاء والتغلب على القيود الشعرية، وكان بحسه المرهف يعرف أن الشعر يرفض القيود فإما أن يجيء نظمه سهلا أو لا يجيء، وجمال قوافيه لا تأتي من موسيقة حروفها وجرس أصواتها وما فيها من متعة للأذان وراحة للنفس فحسب، بل كثيرا ما يأتيها جمالها من الدهشة وعدم التوقع اللذين يهزان القارئ حين يتوقع مجيء القافية على نحو غير الذي تجيء عليه، أو حين يرى الشاعر قد ظفر بالقافية الجديدة المبتكرة التي تشعرك بقدرة غير عادية، قدرة الفنان الأصيل[2]

[1]-ينظر شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص83.

[2]-ينظر، أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص272.

وعلى ذلك يقول

«فأطيب منه صافية شمول يطوف بكأسها ساق أديب

أقامت حقبة في قعر دنّ تفور و ما يحسّ لها لهيب[1]»

وهذه الأبيات تبيّن لنا أ الشاعر سيطر على القافية وهذا ما يضفي عليها قيمة ونمو وزاد في نموها في الوصول إلى درجة عالية من الحس والتأثير على القارئ، كما أحدثت جرسا موسيقيا في إيقاعها يبعث راحة في النفس وإن دلّ هذا على شيء يدل على قدرات "أبي نواس" في اختيار ألفاظ ونسجها مما تصدر نوع من الجرس الذي يزيدها جمالا وروعة لتأثير الذي تحدثه عند ألقاء تلك الأشعار على السامع.

2-الأوزان الشعرية

يعتبر الوزن الشعري طرفا من الأطراف الهامة من معادلة الموسيقى الخارجية للقصيدة الخمرية في شعر القرن الثاني الهجري، فاهتمام الشعراء في تلك الفترة بالقوافي والإيقاع الشعري صاحبه أيضا اهتمامهم بالأوزان الشعرية التي تمثل ركيزة من ركائز الشعر عموما، فسعى شعراء المولدين إلى الملائمة بين قوافيهم وأوزانهم خاصة بعدما أن تحول الشعر يعبر عن حياة ومجالس العامة أي أن الشعر في أحيان كثيرة ينزل لمعالجة أوضاع الفئات الكادحة في المجتمع، وكان لذلك اثر في تطور الأوزان الشعرية حيث أصبحت تميل

[1]-أبو نواس، الديوان، ص11.

كل الميل إلى القصر وتجنح إلى البساطة، فكثرت استعمالات الرجز والكامل والبسيط وهذا ما مكن الشعراء من التعبير بكل حرية عن ما يجول في أعماق أذهانهم وطبعا التعبير عن تلك الحياة اللاهية والتي تتسم بالخفة والرشاقة في مظاهرها من حضارة وترف وللهو.

ومع ذلك فإن هدوء الموسيقى في بعض أشعار "أبو نواس" لا تكون خالصة، فأحيانا يعكر صفا سكونها جرسا عليا لا يلبث أن ينتهي ويعود الهدوء والانسياب الرتيب مثل قوله

«سكرت ، و من هذا الذي منه يسلم وبحت لمن أهوى بما كنت أكتم

فأصبحت كالحيران، عند إقامتـــــي أسر بما قد كان مني أم أنـــدم

فيا ليّتنـــــــي أدري، إذا لقيتـــــه أسعد، ألاقي، أم سعيد فأعلم[1]»

نلاحظ في شعر النواسي ميلا ملحوظا إلى الأوزان الخفيفة استجابة لروح العصر والنفور من الأوزان الطويلة التي تعيق وتعقد مأمورية التعبير والإبداع لدى الشاعر وهذا ما ثار عليه شعراء العصر العباسي خاصة المولدون فأبدوا أوزانا تلبي لهم رغباتهم وتعطي لشعرهم أبعاد أخرى غير تلك الدائرة التي أعاقت الشاعر العربي قديما.

[1]-أبو نواس، الديوان، ص484.

وهذه عينة أخرى تظهر لنا مدى رشاقة وخفة الوزن الشعري في خمريات "أبي نواس" فا ها هو يبدع ويقول

«غرّد الديك الصّدوح فاسقني طاب الصّبوح

اسقني حتى تراني حسنا عندي القبح

قهوة تذكر نوحا حين شاد الفلك نوح».[1]

لقد تمكن بعض أو معظم الشعراء الذين عاشوا وعايشوا الحركة الشعرية في عهد الخلافة العباسية أن يرتقوا بأعمالهم الشعرية بما وفروه لها من موسيقى داخلية ومن ملائمة بين القوافي وحركاتها وحروفها وحرف راويها ولابد لنا الانتباه والإشارة إلى قضية كثرة الزحاف والعلل في شعر القرن الثاني الهجري نتيجة انفلات الشاعر من قيود وقواعد علم العروض إضافة للحرية التي أباحها الشعراء لأنفسهم في نظمهم للشعر وفي تعاملهم مع الأوزان كما يعود أيضا لنوع المواضيع التي تعالج في أشعارهم وأهم القضايا الاجتماعية التي سلط عليها الضوء من قبل الأدباء فمثلا تيار المجون واللهو يتطلب من الشاعر أن يكون قادرا أو متمكنا من النظم على الأوزان القصيرة والمجزوءة من أجل أن يعبر الشاعر بكل حرية وطلاقة على أفكاره ومذهبه، فيقول "أبو نواس":

«خمرته في الكأس ممزوجة كا لذّهب الجاري على فضّته

[1]-أبو نواس، الديوان، ص259

فتارة أشرب من ريقـــــه وتارة أشرب من فضلتـــــه

وكلّما عضّض تفاحـــــة قبّلت ما يفضل من عضّته[1]»

يظهر لنا أن "أبا نواس" ركّز في أبياته هذه على الموسيقى الداخلية للنص الشعري بما وفره لها من تساوي في العبارات خاصة البيت الثاني الذي نسجه تقريبا على نفس المنوال حتى في عدد الكلمات.

ثانيا: الموسيقى الداخلية

إذا تحدثنا على الموسيقى الداخلية فيمكن اختزالها في خمسة عناصر تساهم في تشكيل هذا المفهوم الذي ينحدر من علم العروض، فإذا بنية الموسيقى الداخلية في الشعر تشكلها كل من التصريع، التكرار، الترصيع، والمقابلة، إضافة للجناس، أي عموما بنية هذه القضية الشعرية هي علم البديع نظرا للعناصر المشكلة لها، إن تلائم بين أجزاء القصيدة ينتج قوى موسيقية خصبة وهذا ما يشكل بنيتها الموسيقية والتي تميزها عن باقي القصائد الأخرى، وهذه الموسيقى تتصل بجرس الألفاظ وخواصها أو مميزاتها الصوتية وأنماطها البديعية، وكذلك لها صلة بطريقة نظم ونسج الكلام وطرق ترديد الأصوات في الكلام حتى يكون له نغم موسيقي، وحتى تستدعي انتباه الأذان بألفاظه كما يسترعي القلوب.[2]

[1]-أبو نواس، الديوان، ص315.

[2]-ينظر، أنيس إبراهيم، موسيقى الشعر، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، س1952، ص45.

وسنستعرض تلك العناصر السابقة الذكر وعلاقتها بالموسيقى الداخلية للقصيدة مع التمثيل والاستشهاد بأبيات شعرية توضح ذلك.

1-التصريع

والمقصود بالتصريع هو انتهاء كل من صدر البيت وعجزه بالنفس الحرف والحركة وهذا ما يضفي على القصيدة نوع من الجمال والقيمة الفنية، وله دور هام خاصة في تحقيق الإيقاع الموسيقي ما يجعلها تتلائم وموجة التطور العام، وشعر "أبو نواس" أحسن تمثيل وتجسيد هذه الظاهرة وأبدع فيها فيقول:

«يا ليلة طاب لي بها الأرق حتى بدا من صباحها الفلق

نسقى سلافا من بنت دسكرة ما شابها في دينانها الرّنق[1]»

ويظهر النغم الموسيقي والإيقاع في هذه الأبيات خاصة في التصريع الذي عمد إليه "أبو نواس" في البيت الأول وهذا ما زاد على الأجزاء الأخرى من القصيدة نوع من الجرس واللحن المتتابع.

ومن الملاحظ أن "أبا نواس" قد حرص أشد الحرص علي التزامه وتضمينه لتصريع في أشعاره، لإثراء هذه الأخيرة بالموسيقى التي تنتج من خلال التّجانس الصوتي الذي ينشأ

[1]-أبو نواس، الديوان، ص53.

بين المقاطع في نهاية كل مصراع من البيت، وما ينجم من أثر سمعي يشدّ انتباه المتلقي ويؤثر في أعماق نفسه، فلم تكد منه قصيدة أو مقطوعة فنجده يقول:

«اسقني يا ابن أدهما واتّخذني لك ابنما

اسقنيها سلافـــــة سبقت خلق آدم[1]»

فقد عمد "أبو نواس" هنا إلى تكرار حرف الميم في شطري البيت الأول وهذا ما حقق له معنى التصريع في قصيدته هذه وما أكسبها وزنا موسيقيا خاصا له أثر في السامعين كما أكسبها نغم موسيقي رائع.

2-التكرار

يعتبر أيضا التكرار من العناصر التي تشكل أو تتألف منها الموسيقى الداخلية في الشعر، ويظهر التكرار بصور عديدة فتارة بالحروف وتارة بالألفاظ والعبارات، وهذه جميعها تساهم في جعل التكرار عنصرا جد مهما في الموسيقى الداخلية، فتلك الموسيقى التي اكتسبتها أشعار "أبو نواس" في فنه الخمريات لم تستغني عن ظاهرة التكرار لإعطائها جرسا موسيقيا مميزا وهذا ما نلتمسه في هذه الأبيات:

«قد جاءنا نيسان وطاب فيه الزمان

ريحاننا الياسمين والورد والنسرين[1]»

[1]-أبو نواس، الديوان، ص138.

فهذه الأبيات أحسن مثال لتكرار الحروف فتكرار حرف النون أضفى رتابة موسيقية وكأننا نسمع رجع صداها فحرف النون أعطى جرسا وإضافة في الموسيقى الشعرية لشعر "أبي نواس" لذلك نجده تكرر في العديد من الأبيات.

فظاهرة التكرار في شعر "أبي نواس" لم تخص الحروف فقط بل تعدت ذلك فشملت حتى الألفاظ لأنها الأقرب والأسهل في تشكيل الموسيقى الداخلية فتلك الألفاظ المتقاربة والمتشابهة وأحيانا المتطابقة تصدر نغم موسيقي متشابه ومتتابع تستريح له الأذن فخمريات هذا الشاعر لا تخلوا من هذا التكرار في الألفاظ المكررة فها هو يقول:

«لا تسقنـــــــي إلاّ مدامـــــا ودع الملام فـــــلا مـــلام

أتى شهر الصيام فذاب جسمي لترك الشرب في شهر الصيام

اسقني يـــا ابـــن هاشـــم رحـــــم الله هاشمـــــــا[2]»

ونلاحظ الأثر الموسيقي الواضح في البيت الأول الذي أحدثه تكرار لفظة الملام في الشطر الثاني فلفظتان تبادلتا أو اشتركتا نفس النقطة الموسيقية والتي أحدثت أثرا موسيقيا حسّ به السامع والمتلقي إضافة لتقابل اللفظتين هاشم وهاشما في البيت الثاني فكلاهما وقعا في نهاية الشطر في نفس البيت أي ما إن ينتهي نغم الفظة الأولى يكمله نغم اللفظة الثاني لوقوعها في بيت واحد.

---

[1]-المصدر نفسه، ص157.

[2]-أبو نواس، الديوان، ص143.

وسنعرض عليك عينة من الأبيات تعمد "أبو نواس" فيها لتكرار الألفاظ رغبة في إحداث أثر موسيقى تهز له القلوب وتستمتع به النفس، فيقول في خمرياته

«فلا أشرب داديّا ولا أشرب مطبوخا

و لكن أشرب السيح الذي يدعى بإبريخا[1]»

فتكراره لعبارة لا أشرب تأكيدا منه على معرفته لأنواع الخمر ونوعية كل خمر وجودته، أي أنه شاعر لديه معرفة ما تكفيه لاختيار الخمر التي يهواها ويفضلها والتي سماها في شعره با السيح والابريخا وكما تدل أيضا هذه الأبيات على شد ولوع وإدمان "أبي نواس" بالخمر حيث نجده يفضل نوع على أخر.

كما يقول أيضا في قصيدة أخرى

«فالخمر ياقوتة، والكأس لؤلؤة من كفّ لؤلؤة ممشوقة القّد

تسقيك من عينها خمرا،و من يدها خمرا فمالك من سكرين من بدّ[2]»

يتضح لنا أن "أبا نواس" شاعر عاشق للخمرة ومجالسها وقرب بحث اعتمد على التكرار في البيت الأول فتارة استخدم لفظة لؤلؤة تعبيرا على جمال الخمر وتارة أخرى تعبيرا على جمال

[1]-أبو نواس، الديوان، ص88.

[2]-المصدر نفسه، ص102.

الساقية وهذا ما أمّن لنغم الموسيقي باستمرار والانتقال من صدر البيت الأول إلى عجزه أي الشطر الثاني.

3-المقابلة

وتعدّ المقابلة من أوضح الأمثلة التي تؤكد براعة "أبي نواس" في استغلال وحسن تعامله مع العناصر الصوتية للغة، وتوليد الإيقاع وهذا ما يجعل من الشاعر أن يكون دقيقا ومتمكنا في اختيار الألفاظ تألف موسيقاها، ولهذا نحاول أ نستعرض ونقدم بعض المقابلات في قصائده الخمرية حيث يقول:

«لا تخدعنّ عن التي جعلت سقم الصحيح، وصحة السّقم

وصديقة الروح التي حجبت عن ناظريك، وقيّم الجسم[1]»

وتظهر هنا المقابلة في البيت الأول حيث استخدمها في الشطر الثاني وقارن بين سقم الصحيح وصحة السقيم إذ يرى أن الخمر تجعل كل سقيم صحيح وتنسيه همومه وأعباء الحياة بين تترك الصحيح سقيم يواجه تلك الهموم ولا تفارقه.

وفي هذه الأبيات الشعرية تلعب الموسيقى دورا هاما، لذلك جاءت فيها المقابلة من اجعل إظهار تقويتها فتتمثل المقابلة في تلك الأبيات فيما يلي سقم الصحيح و صحة السّقم.

[1]-أبو نواس، الديوان، ص57.

4-الجناس

يعد الجناس عمود من أعمدة الموسيقى الداخلية في الشعر، ولا يمكن الاستغناء عليه في تحقيق الإيقاع الموسيقي والخرس حيث يملك خاصية تمكنه من جعل أي كلام يرحب به ويستحسن السماع له ويترك أثرا في سامعه، فشعر "أبو نواس" وطبيعته يؤكدان توفر ووجود الجناس في قصائده أولا لأن شعره يختص ويتداول في مجالس الشراب والبيئة التي نشأ فيها بيئة عرفت انتشار الغناء حيث يعدّ الجناس ركيزة أساسية في فن الغناء الذي أثر في شعر القرن الثاني الهجري عموما وفي خمريات "أبي نواس" خصوصا فهناك أمثلة أين إستعان "أبو نواس" بالجناس وزين به شعره الخمري حيث يقول:

«أثن على الخمر بألائها وسمّها أحسن أسمائهـــا

لا تجعل الماء لها قاهرا ولا تسلّطها على مائهـــا

كرخية ق عتّقت حقبــة حتى مضى أكثر أجزائها[1]»

ولذلك نجد أن الشاعر جانس بين لفظي ألائها وأسمائها وكذلك تشابه الفظتين في النطق يشابها تاما أو جزئيا واختلافهما في المعنى.

[1]-أبو نواس، الديوان، ص51.

خاتمة

خاتمة:

بعد هذه المسيرة الطويلة التي عشناها مع هذا الموضوع، إلى أن وصل لصورته الحالية بتوفيق الله وعونه، قدمنا فيها ما تيسر لنا الإطلاع عليه والإلمام به والوصول إليه.

فقد توصلنا من خلال هذه الدراسة التي تحدثنا فيها عن شعرية القصيدة الخمرية في العصر العباسي، خرجنا من هذا البحث بعدة نتائج أهمها يتلخص فيما يلي:

1- جاء العصر العباسي حاملا معه مظاهر التجديد لاسيما على مستوى الشعر فظهر شعر اللهو والمجون ووصف القصور وما يحيط بها حياة لاهية.

2- يعتبر شعر القرن الثاني الهجري ثمرة ذلك التطور ونمط الحياة والموجة الحضارية التي عاشها المجتمع العربي في ظل الخلافة العباسية.

3- يعتبر أبو نواس من أعلام هذا العصر فهو الذي ثار على المقدمة الطللية واستبدلها بالمقدمة الخمرية وهو بذلك حرر الشعر من اللهجة البدوية ونظّمه بالطريقة الحضارية.

4- إن أبو نواس شاعر الخمرة بلا منازع، فهي أصبحت فنا مستقلا على يده في الأدب العربي، حيث نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعر خمرياته وعدّ رائدا لها في عصره.

5-وصف الخمرة وأوانيها وأشكالها، ووصف مجالسها وما تضمنه من سقاة وندمان وغناء و للهو وطرب، فهو لم يصفها فقط بل قدسها تقديسا.

6- أصبحت الخمرة محور القصيدة بعدما كانت مجرد موضوع يأتي الشاعر على ذكره من خلال قصيدته.

7-تميزت خمريات أبو نواس بقوة الإحساس وبسطة التعبير، وسهولة اللغة كما امتازت عن خمريات سابقيه بوحدة الموضوع، حيث تكون كل القصيدة مدارها الحديث عن الخمر.

8-تتميز الموسيقى الشعرية في خمريات أبي نواس أنها لا تأتي من تعامله مع اللغة تعاملا ظاهريا بل من معاناة المستمرة التي هي نتاج لتجربته العاطفية المباشرة.

وفي الختام لا يمكن لهذا الجهد المتواضع أن يلم بكلّ ما قيل ودرس في هذا الموضوع، ونرجو أن نكون قد بذلنا بعض الجهد، ووفقنا في توضيح بعض معالم التجديد التي تخللت العصر وأن يكون هذا العمل خالصا لوجه الله الكريم، ونسأله سبحانه الرّضى والتوفيق.

ملحق

ملحق

حياةأبو نواس:

"أبو نواس" الشاعر العباسي من مواليد «139 هجري، وفي السادس من عمره مات ابوه فنقلته امه الى البصرة قامت بتربيته، ودفعته الى الكتاب فحفظ القران الكريم واطرافا من الشعر وتفتحت موهبته وهو صغير اختلف الى حلقات المسجد الجامع يتزود من اللغة والدين والشعر والحقته، امه بإحدى العطارين فكان يعمل عنده نهارا وفي المساء يذهب الى المسجد متتلمذا على علماء التاريخ واللغة والشعر».[1]

أما ما يتعلق بنسب "أبي نواس" لا «يصح الاقتناع به والاطمئنان إليه، فالأقوال فيه متضاربة والاختلاف غير قليل، الى ان المشهور عنه انه الحسن بن هانئ بن عبد الاول بن الصباح. وان جده كان مولى الجراح بن عبد الله الحكمي والي خرسان، فنسب اليه وان أباه كان من جند مروان بن محمد وهو من اهل الشام وان امه فارسيه من الاهواز واسمها جلبان»[2]

وكان شاعر شديد النزوع إلى الأدب ويميل أليه كثيرا، «فكان لا يفترق عن مخالطه أهل المسجد والادباء المجان، واخذ يتردد على باب ابي عمرو بن العلاء ولكن الرواة والشعراء يجتمعون عنده. فاتصل بهم وهو في العقد الاول من عمره فاكتسب منهم أدبا وعلما ولكنهم اثروا بأخلاقه فتهتك صبيا ولم يكن له من بسطه العيش ما يقيه الحاجة فيصون ماء

---

[1]-مصطفى السيوفي: تاريخ الأدب في العصر العباسي، ص99

[2]–بطرس البتاتي: أدباء العرب في العصور العباسية، ص48

وجهه، فكان أصحاب المجون إذا ارادوا الخروج الى نزهة استأجروه بدينار فيحمل وادواتهم ويبقى معهم حتى يعودوا».[1]

وانتقل "أبو نواس" إلى بغداد، «ومقاليد الخلافة في يدي هاد هارون الرشيد فأتيح له ان يتصل، به فقربه الرشيد وأحبه وانعم عليه وتغاضى عن فسقه وسكره واستهزائه بأحكام الدين وعفا عنه مرارا وأطلقه من سجنه على انه لم يخص بذاته، فلقد كان الرشيد شديد الحرص على وقار الخلافة شديد الحفاظ على تقاليد الدين ولا سيما مع الرعية، فلم ير من الحكمة أن يجعل الشاعر الخليع مختصا بقصره لذلك لم يحظ ابو نواس الحظوة التي كان بآمالها عند الرشيد وتفرغ لمصاحبه المجان».[2]

وعرف بمجونه وحبه للخمرة «فحمل عليه الناس فيه، في عصره وبعد عصره ما لم يعمل على أحدوالخمرة كانت ما تزال الرحمن عند المسلمين فاتبعوا هذه فرموه بالزندقة وبكره العرب، وهو ما أطلق عليه بالشعوبية ولست أبرؤه من هذا كل التبرأة لكن اقول أنه شاعر مرهف الحس وقد يكره العرب ساعة فيقول فيهم ما لا يستطيع أن يقول مثله غيره، وقد يكره الفرس ساعة فيقول فيهم ما لا يقوله غيره أيضا.

---

[1]– بطرس البتاتي: أدباء العرب في العصور العباسية، ص49

[2]–المرجع نفسه، ص49

ملحق

وحياته في جملتها ترينا أنه كان أكثر حبا العرب وأكثر بغضا لمنافسيهم، قال في البرامكة ما لا يستطيع ان يقول شاعر:[1]»

إذا ذكر الشرك في مجلس أضاءت وجوه بني برمك

وإن تليت عندهم آيـــــت أتوا بالأحاديث عن مزدك

« أمه عربية وأحب الخمر حتى قال فيها:[2]»

أجل عن اللئام الخمر حتى كأن الخمر تعصر من عظامي

أثاره:

«ديوان شعر مختلف لاختلاف جامعيه، فانه غني بجمعه رهط من الادباء منهم ابو بكر الصولي وعلي بن حمزه الاصبهاني. وطبع غير مره في فينا ومصر وبيروت وفي صدر الطبعة المصرية فصل لجامعه الاصبهاني جامعه في منزله شعر ابي نواس ونقده وهذه المجموعة تتضمن أكثر من 13 الف بيت. رتبت على 12 بابا فالأول: في نقائضه مع الشعراء واخباره معهم ومع القيام والثاني: في المديح والثالث: في المراثي، والرابع: في العتاب والخامس: في الهجاء والسادس: في الزهد والسابع: في الطرد والثامن: في الخمر والتاسع: بين الخمر والمجون والعاشر: في غزل المؤنث والحادي عشر: في غزل المذكر

---

[1]–أبو نواس: الديوان: برواية الصولي تحقيق الدكتور بهجة عبد الغفور الحديثي، ط1، دار الكتب الونية، 2010، ص6

[2]– المرجع نفسه، ص7

ملحق

والثاني عشر: في المجون وقد أهمل الناشر الباب الاخير فلم ينتبه في الطبعة لأنهرأى فيه ما يصم الآداب وحسنا فعل ولكننا لا ندري باي عين نظر الى الباب التاسع فانه فيه من التعهر ما لا يقل عما ورد في الباب الثاني عشر. »[1]

وكما جمع ابن منظور صاحب لسان العرب تاريخ "ابي نواس" ونوادره وشعره ومجونه في كتاب سماه اخبار ابي نواس وقد طبع الجزء الاول منه في مصر سنه 1924 مضبوطة بالشكل مشروحه بعض الشرح ولكن الحكومة المصرية منعت متابعه نشره لما فيه من فحش مضر بالأخلاق.

«كتب الادب حافله اخبار ابي نواس واشعاره لشدة اهتمام الناس برواية شعره، فإنهم كانوا يتفكهون به، ويؤثرونه على أشعار القدماء فسار على الافواه كل المسير فروي له في مصر اشعار لم يعرفها اهل العراق وضاعت له قصائد لم يبقى منها شيء. »[2]

مكانته بين رجال عصره:

جاء في طبقات الشعراء لابن المعتز:

«كان ابو نواس عالما فقيها بالأحكام صاحب حفظ ونظر ومعرفه في طرق الحديث يعرف ناسخ القران ومنسوخه ومحكمه ومتشابهة وقد تأدب بالبصرة وكان احفظ الناس لأشعار القدماء والمخضرمين أوائل المسلمين المحدثين لما عرف أبو نواس من أحكام هذه

---

[1]–بطرس البستاني: أدباء العرب في الأعصر العباسية، ص56

[2]– المرجع نفسه، ص56

ملحق

الفنون تفرغ من للنوادر والمجون والمدح فحفظ منها شيئا كثيرا حتى صار أغزر الناس علما ثم اخذ في قول الشاعر فبرز على اقرانه وبرع على اهل زمانه ثم اتصل بالوزراء والاشراف فجالسهم معاشرهم فصار مثلا للناس احبه الخاصة والعامة.»[1]

«وقال الجاحظ ما رأيت أحدا أعلم باللغة من أبي نواس ولا أفصح منه لهجه مع حلاوة ومجانبه وانشد له النظام شعرا في الخمر ثم قال هذا الذي يجمع له الكلام واختار أحسنه وقال كلثوم العتابي لرجل يناظره في شعر ابي نواس لو أدرك الخبيث الجاهلية ما فضل عليه أحد وقيل عنه لولا ما كان يخلط شعره من الخلاعة لاحتج شعره في كتاب الله تبارك وتعالى وفي حديث الرسول وقرا القران على يعقوب الحضرمي أمام القراء فحذقه ورمى إليه يعقوب بخاتمه وقال له اذهب فانت اقرا اهل البصرة.»[2]

«امتدت شهرته الى ما وراء الاوطان العربية، اسمه في آداب الأمم الشرقية والغربية جميعا. والبس فيها شخصية أسطورية خيالية تمثل نموذجا اجتماعيا يعيش في كل زمان، وأنه لا يكاد يكون كذلك في الروايات العربية ايضا اذ صورته انسانا شاذا عظيم الشذوذ. وقد اجتمعت في سلوكه تناقضات عصره اضطربت في الحديث عنه اضطرابا لا حد له وروت عنه الخبر ونقيضه بل نقائضه ونسجت حوله قصصا مختلفة ألوانه، فيها من الإثم والشرك كثير ومزجت حقه في باطله فأبهمت السبيل إلى تمحيص عرضه في صورته الحقيقة عرضا سليما التناقض ويبرا من الفحش او يدنو من ذلك ولا ريب في ان هذا الامر من شان الرجل

---

[1]– أحلام الزعيم: أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد، ص30

[2]– المرجع نفسه، ص31

ملحق

لم يكن على ايه حال مصادفة لغير سبب أو اسباب وانه لموضوع يطول ويعرض القول فيه.»[1]

«وهذا هو ابو نواس وهذا ما وجدنا شبهه اجماع عليه لدى تتبع اخباره وسيره فاين من هذا ابو نواس العابث المستهتر والذي كيل له من الاتهامات واشيع عنه من الروايات ما يبرزه فاسقا فاجرا لا هم له سوى الاقبال على الذات وانتهاك المحارم.

واينما منظور هو الذي يقول في ابي نواس وكان ابو نواس في دعاويه يتماجن ويعبث.»[2]

توبه وموته:

«وكما قتل الأمين المأمون بالخلافة أصاب أبو نواس شيء في الجزع والقنوط وتذكر له الدهر فتبرم الحياة وسئم ملاذها وغرورها وابى أن يتقرب من المأمون أو يمدحه وكان المأمون قد جعل مقر الخلافة في خرسان وهناك لبس هناك نحو من ست سنوات حتى بدلها لأمر في بغداد فانتقل اليها وكان بوسع الشاعر ان يتصل به ويستميله بالمديح ولكن البؤس الذي ساوره بعد مقتل الامين جعله يزهد في الحياة الدنيا وتراءى له شبح الموت فراغه وأحس ان قوته تحطمت من كثرة فسوقه واستهتاره ففرغ إلى ربه يستغفره وإقلاع عن المجون والشرب».[3]

---

[1]– المرجع نفسه، ص36

[2]- أحلام الزعيم: أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد، ص36–37

[3]– بطرس البستاني: أدباء العرب في الأعصر العباسية، ص52

ملحق

«ولم يلبث الحسن بن هانئ الشعر الماجن الخليع أن طفئ وعاجلته المنية وكانت وفاته في سنه تسع وتسعين ومائه وعمره 59 سنه ودفن في مقابر الشونيزى في التل المعروف بتل اليهود على شاطئ نهى عيسى ببغداد وقد كتب صديقه ورفيقه صباه الحسن بن الضحاك على قبره.

نازعنك الزمان يا حسن فجاب سهما وأفلح الزمن

ليتك إذ لم تكن بقيت لنا لم تبقى روح يحوطها بدن

ومما يروى عنه في مرض موته انه التفت ذات مره إلى عواده فقال لا تشربوا الخمر صرفا فاني شربتها صرفا فأحرقت كبدي وكان لا يكف في كل مره مع ضعفه وخفوت صوته عن إنشادهم شعرا له بعد شعر يظهر فيه التوبة ويطلب من الله الصفح المغفرة:»[1]

دب في العناء سفلا وعلوا وأراني أموت عضوا فعضوا

ذهبت شرتي بجدة نفس وتذكرت طاعة الله نضـــــوا

[1]– عبد الرحمان صدقي: أبو نواس قصته حياته وشعره، دار المعارف الإسلامية، ص188

قائمة المصادر

والمراجع

1- أبو نواس، ديوان، حققه عبد المجيد الغزالي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان.
2- أحلام الزعيم، أبو نواس بين العبث والتمرد، دار الحقائق، بيروت-لبنان.
3- أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، الطبعة 1، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، سنة 2001.
4- الأخطل، ديوان، شرحه وصنف قوافيه، وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، د.ت، بيروت-لبنان.
5- الأعشى الكبير، الديوان، شرح وتعليق محمد حسين، مكتبة الأدي بالجماميزت، المطبعة النموذجية، د.ت.
6- امرئ القيس، ديوان، برواية الأصمعي، دار المعارف (ح،م،ع) د.ت.
7- أنيس إبراهيم، موسيقى الشعر، مطبعة لجنة البيان العربي، ط2، مصر، س1952.
8- أيمن محمد زكي العشماوي، خمريات أبي نواس دراسة تحليلية في المضمون والشكل، الطبعة 1، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، سنة 2000.
9- بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ط1، المركز الثقافي العربي، لبنان، س1994.
10- بطرس البستاني، أدباء العرب في الأعصرة العباسية حياتهم آثارهم نقد آثارهم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة، د.ت.
11- ثريا عبد الفتاح، مدخل إلى العصر الأموي، الطبعة 1، مكتبة المدرسة، دار الكتاب العالي، بيروت-لبنان، سنة 1989.
12- جميل سعيد، تطور الخمريات في الشعر العربي من الجاهلية إلى أبي نواس، الطبعة 1، مكتب النهضة المصرية، القاهرة، سنة 1945.

13- حامد حفني داود، الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، سنة 1993.

14- حسان بن ثابت، الديوان، ضابط بالعربية، مطبعة السعادة، مصر، د.ت.

15- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم.

16- رشيدة ناظم، الأدب العربي في العصر العباسي، دار الكتابة للطباعة والنشر، الجمهورية العراقية، سنة 1415هـ-1979م.

17- الرقيق القيرواني، قطب السرور في أوصاف الخمور.

18- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، الطبعة 7، الجزء 2، القاهرة.

19- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في عصر الدول والإمارات الشام، جزء2، الطبعة 2، دار المعارف، القاهرة.

20- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي.

21- طه حسين، حديث الأربعاء، الطبعة 14، الجزء 2، دار المعارض، منتدى الإسكندرية.

22- عبد الرحمان صدقي، أبو نواس قصته حياته وشعره، دار المعارف الإسلامية.

23- عثمان وافي، التيارات الأجنبية في طي الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث هجري، الطبعة 2، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، سنة 2000.

24- عز الدين إسماعيل، في الأدب العباسي الرؤية والفن، دار النهضة الغربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، سنة 1995.

25- عمر بن كلثوم، ديوان، جمعه وحققه وترجمه إيميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، بيروت.

26- عنترة بن الشداد، الديوان، تحقيق ودراسة محمد السعيد مولوي المكتب الإسلامي، كلية الأدب في جامعة القاهرة.

27- كعب بن زهير، ديوان حققه وشرحه وقدم له الأستاذ على فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، سنة 1417هـ/1997م.

28- محمد السيوطي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، دار الدولي للاستثمارات الثقافية، س.م.م.م، القاهرة-مصر.

29- محمد حسين، أساليب الصناعة في الشعر والخمر والأسفار بين الأعشى والجاهليين، دار النهضة العربية، بيروت.

30- محمد عبد العزيز الكفراوي، الشعر العربي بين الجمود والتطور، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

31- محمد عبد المجم خفاجي، الأدب العربية في العصر العباسي الأول، ط8، دار المعارف، القاهرة.

32- محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني، دار المعارف، القاهرة، سنة 1993.

33- محمد مندور، في الأدب والنقد، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

34- محمود شاعر، التاريخ الإسلامي الدولة العباسية، الجزء 1، الطبعة 6، الكتب الإسلامي، بيروت.

35- محمود عيسى عرام، إبراهيم مصطفى الدهون، صورة الساقي في الشعر العباسي، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 46، عدد1، الملحق 2، عماد البحث العلميين، الجامعة الأردنية، سنة 2018.

36- مصطفى بيطام، مظاهر المجتمع وملامح التجديد من خلال الشعر في العصر العباسي.

37- نجيب محمود البهبتي، تاريخ الشعر العربي حتى القرن الثالث الهجري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

38- نور الدين السد، الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي.

39- هند الشويخ بن صالح، التجديد في الشعر العربي، بشار-أبو نواس- أبو العتاهية، ط1، دار محمد علي للنشر، الصفاقص الجديدة، الجمهورية التونسية، س2008.

40- الوليد بن يزيد، ديوان، جمع وترتيب المستشرق الإيطالي جيربالي، المجمع العالمي، الطبعة 9، دمشق.

الأطروحات:

1-بوشاقور مريم، مظاهر اللهو والمجون، في المشرق الإسلامي العصر العباسي الأول، مذكرة لنيل شهادة الماستر للتاريخ، جامعة المسيلة، سنة 1437/1434هـ-2016/2015م.

2-حملاوي مروة، لعور إيمان، بنية القصيدة عند الشعراء المولدين بشار بن البرد، أبي نواس، أنموذج مذكرة مكملة في نيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب، جامعة العربي بن مهيدي، البواقي سنة 2017/2016م.

3-خالد سليمان، شعر الخمرة بين أبي نواس وابن الفارض دراسة مقارنة، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تلمسان، سنة 1433/1432هـ-2012/2011م.

الفهرس

الموضوعات **الصفحة**

مقدمة**.....أ/ح**

مدخل: الخمرة في العصور العربية القديمة**.....7**

1-الخمرة في الجاهلية.....8

2-الخمرة في صدر الإسلام.....16

3-الخمرة في العصر الأموي.....19

الفصل الأول: الشعر الخمري في العصر العباسي.....25

المبحث الأول: عوامل انتشار الشعر الخمري في العصر العباسي.....26

أولا: الحضارة والثراء والترف.....27

ثانيا: التأثر بالعنصر الفارسي.....29

ثالثا: اللهو والمجون.....32

رابعا: انتشار الغناء.....36

خامسا: الجواري والقيان.....38

سادسا: الأديرة والحانات.....40

سابعا: التساهل بأحكام الدين.....43

المبحث الثاني: مضامين القصيدة الخمرية العباسية**.....46**

أولا: الخمر والمجون.....47

ثانيا: الخمر ووصف الطبيعة.....48

ثالثا: وصف الخمرة 50

رابعا: وصف تأثير الخمرة في شاربها.....55

خامسا: وصف مجلس الخمرة.....58

سادسا: وصف صورة الساقي.....62

سابعا: وصف الكأس.....64

المبحث الثالث: بنية القصيدة الخمرية العباسية.....66

أ/ على مستوى الشكل.....68

ب/ على مستوى المضمون.....73

الفصل الثاني: شعرية القصيدة الخمرية النواسية.....80

المبحث الأول: شعرية اللغة في القصيدة الخمرية النواسية.....81

أولا: اللغة أنموذج حياته ومرآة ذاته.....88

ثانيا: الحيوية.....90

ثالثا: العفوية والألفة.....92

رابعا: السخرية.....93

المبحث الثاني: شعرية الصورة في لقصيدة النواسية.....96

أولا: صور ذات طابع اجتماعي..... 99

ثانيا: صورة ذات ثقافة دينية.....101

ثالثا: صورة فنية.....101

رابعا: صورة معنوية.....102

خامسا: صورة رمزية.....104

الخصائص الجدية في صور الخمر عند أبي نواس.....106

أولا: الحركة.....106

ثانيا: الدرامية.....108

ثالثا: الخيال البرقي.....109

المبحث الثالث: شعرية الموسيقى في القصيدة الخمرية النواسية.....112

أولا: الموسيقى الخارجية.....114

1/الإيقاع والقافية.....114

2/الأوزان الشعرية.....117

ثانيا: الموسيقى الداخلية.....120

1/التصريع.....121

2/التكرار.....122

3/المقابلة.....125

4/الجناس.....126

الخاتمة.....128

قائمة المصادر والمراجع.....131

الفهرس.....138

ملخص:

تناولنا في دراستنا لموضوع شعرية القصيدة الخمرية في العصر العباسي أبو نواس نموذجا عوامل ظهور الشعر الخمري في البيئة العباسية، إضافة إلى مضامين القصيدة الخمرية؛ كما تطرقنا إلى الجانب الشكلي ومضمون القصيدة الخمرية في هذا العصر. ثم عرجنا إلى شعرية اللغة في خمريات أبي نواس، كما أشرنا إلى شعرية الصورة في القصيدة النواسية وشعرية الموسيقى فيها، وهذا من خلال مجموعة من القصائد الخمرية التي تميزت بقوة الإحساس وبساطة التعبير وسهولة اللغة، كما امتازت بوحدة الموضوع.

***الكلمات المفتاحية:**

العصر العباسي، الشعر الخمري، أبي نواس، الخمرة، اللهو والمجون.